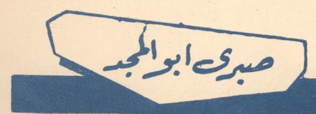
شعب يصنع السلام



شعب .. يصنع السلام



الإهـــــــــداء

لمن اهدى هذا الكتاب ؟

انا فى حيرة شديدة حيال هذا الاهداء .

أأهديه الى وزارة الخارجية الرومانية التى دعتنى لزيارة رومانيا ؟

أم اهديه الى اتحاد الصحافة الرومانى الذى كرم واكرم الصحافة العربيــة فى شخصى ايما اكرام وتكريم ؟

أم اهديه الى الكتاب والفنانين الذين لقيتهم فى رومانيا ، واعجبت بهم وشعرت الى أى مدى عميق هم يحبون بلدنا ويتمنون الحرية والرخاء لشعبنا ؟

أم اهديه الى عمال مصنع هونيدوارا الذين اعلنوا امامى ــ على لسان مــديرهم الشاب ــ استعدادهم للسفر فورا الى الشرق الاوسط للدفاع عن الحرية فى بلدنا ، والكفاح من أجل سلام العالم كله ..؟

أ أهديه الى الاصدقاء الذين التقيت بهم ذات مساء على قمة الجبل المطــل على « كلوش » اجمل بلدان ترانسلفانيا ، كانوا يشربون ويرقصون ويغنون ، ولم يكــد احدهم يعرف اننى مصرى واننى عربى حتى احالوا حفلتهم الصاخبة الى مظـهرة وطنية رائعة تهتف للحرية والصداقة والاستقلال ، ثم راحوا يشربون فى سعــادة وابتهاج نخب الصداقة العربية الرومانية .. ونخب السلام العربى ، ونخب ناصر محطم الاستعمار ؟

ام اهديه الى اعضاء الاتحاد الديمقراطى النسائى اللواتى استقبلننى فى دارهن الانيقة بالقرب من سفارتنا فى بخارست ورحن يؤكدن ما سبق أن اعلنه للدنيا بأسرها أيام العدوان الثلاثى على مصر من انهن على استعداد للاشتراك عمليا معنــا فى كل معركة نخوضها ضد الاستعمار والاستغلال والسيطرة الاجنبية ؟

أم أهديه الى اكثر من مائتى طفل استقبلونى فى احدى القرى النائية بالقرب من حدود الاتحاد السوفيتى وكانوا يحملون بأيديهم الحلوة ، ازهارا جميلة اقتطفوها من حديقة مدرستهم ، وكانت اصواتهم الرقيقة تهتف للسلام وللصداقة بين الشعوب .

لقد ظلت أصواتهم الحبيبة ، تنطلق بالهتـاف كمـا ظلت أيديهم الرقيقة تلوح بالازهار الى ان اختفت العربة عن انظارهم . واصوات هؤلاء الإطفال الهاتفة للسلام الداعية للصداقة بين الشعوب ، ما تزال حتى كتابة هذه السطور وبعد عام كامل من لقائهم ترن في اذنى ، وفى قلبى ..

أأهدى هذا الكتاب الى « مظفر » الفلاح الرومانى المسلم الذى لقينه فى مزرعته الصغيرة ، القائمة على شاطىء البحر الاسود بالقرب من كونستانزا فلم يكد يعرف أننى عربى ، واننى مسلم حتى ترك فاسه جانبا وراح يقبلنى فى حـرارة وفى عنف أكثر من ربع ساعة واستراح بعدها فترة ، ثم انطلق يقبلنى مرة اخرى فى حرارة وفى عنف ويقول بلهجة تركية ترجمها لى مرافقى بقوله : « انه ما كان ينتظر فى يوم من الايام ان يرى عربيا مسلما يزوره فى هذه الارض البعيدة النائية ؟ » .

أم اهديه الى « كوريانو » سائق العربة التى قطعت بها الوف الاميال داخل اراضى رومانيا الواسعة الشاسعة والذى لازمنى شهرا كاملا كان فيها مثال الصديق الكريم ، لقد لعب هذا السائق دورا خطيرا فى حروب المقاومة الشعبيـة التى قامت ضـد الهتلرية وأذنابها وقد اعتقل وسجن عشرات المرات ، ثم اصيب برصاصات العدو فى اكثر من موضع من جسمه .. لقد كان كوريانو يؤكد لى أنه على اتم استعداد لمعاودة القتال والكفاح دفاعا عن الحرية والسلام فى اية بقعة من بقاع العالم ..

أم اهديه ـ هذا الكتاب ـ الى الصديق « زيدارو » الذى لقيتـه مصـادفة فى الحديقة المواجهة لمحطة سكة حديد كونستانزا .. لقد فقد الرجل اولاده السبعة فى الحرب العالمية الاخيرة ، كما فقد ساقه اليمنى ، واصابع يده اليسرى ، ومـع ذلك لم يفقد الامل يوما ما فى السلام ، كان يشير الى العناوين الضخمة التى تنشرها الصحف عن مؤامرات الاستعمار لاشعال نيران حرب جديدة ، ويقول : « اننا نستطيع ان نعيش جميعا فى سلام ، ان العالم يتسع لناجميعا.. انه اكبر منا ومن حاجاتنا»

اننى حائر فعلا بسبب اهداء هذا الكتاب ولن يخرجنى من حيرتى الا ان اهديه الى الشعب الرومانى الصديق الذى احسست طوال شهر قضيته فى ارضه الطيبة ، وبين ابنائه الاحرار انه يصنع السلام بجد وادب . واملى ان يكون هذا الكتاب جسرا من جسور الصداقة بين الشعب الرومانى الخالد والشعب العربى العريق .

صبرى أبو المجد

بداية جميلة

● هل تستطيع السفر الى رومانيا غدا ؟

ـــ غدا ، ولكن لماذا الغد بالذات ألا تستطيع تأجيل السفر بضعة أيام ؟

● مستحيل .. إن أعياد التحرير ، لا يمكن تأجيلها وموعدها بعد غد ..

وبعثت كلمة التحرير فى ذهنى وقلبى واحساسى قوة رائعة قلت فى أثرها لمحدثى : « اتفقنا .. » .

ـــ اتفقنا ..

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥٧ كنت أحمل فى يدى حقيبتى التى حملت من المطبوعات والصور أضعاف ما حملت من ملابس .. وأخذت أتطلع الى أثاث المنزل والى الصور المعلقة فى هذا الركن أو ذاك وأسأل نفسى فى صوت خافت كما أفعل دائما عندما أسافر الى الخارج : « هل ترانى أعود ؟ » .

وقبل أن أقفل الباب فى هدوء ، تطلعت حولى فلم أجد أما أقبلها وتقبلنى ، ولا أبا أطبع على يده قبلة الخضوع والحب ، ولا أخا أقول له الى اللقاء .. ولا ولدا أطبع على جبينه قبلة الوداع .

بل لم أجد شخصا يقول لى مع السلامة .

ولأول مرة تتساقط الدموع من عينى بغزارة ومرارة ، أننا نكون دائما أشقياء عندما نغادر بيوتنا .. ونكون سعداء عندما نعود اليها .. اما أن نكون أشقياء عندما نودع أحبابنا . ونكون ايضا

أشقياء عندما لا نجد من نودعه من احبابنا فهذا ما لا يشعر به الا القليلون .. القليلون من التعساء .

ولقيت بعدها الرفيق « ديتوليسكو » الملحق الصحفى الرومانى فى انتظارى أمام بيتى وكادت الدموع تطفر من عينى .. ان اولئك الذين افتقدوا آباءهم وأمهاتهم . واولئك الذين حرموا من الأولاد يستطيعون ان يجدوا فى هذا العالم المترامى الأطراف ما يقلل لديهم آلام الحرمان ...

وفى الطريق الى اثينا وجدت نفسى وسط عدد كبير من الركاب استسلموا جميعا للنوم فيما عداى . لست أدرى لماذا لا استطيع النوم فى الطائرة ؟ الاننى لا أريد أن القى ، الموت ـ فيما لو حدث ـ نائما ؟ أم لاننى لا أريد ان احرم نفسى من رؤية الدنيا من الجو ؟ قد يكون للسببين معا .

وهبطنا مطار أثينا ، ومطار أثينا كمطار القاهرة ، أغلب من فيه يتحدثون العربية وعندما تسمع لغتك الوطنية فى بلد أجنبى تشعر بالسعادة ، ولست تستطيع أن تحلل ذلك ـ الا أن يكون الشعور بالاطمئنان والشعور بالرضا وراء تلك السعادة .. ما علينا .

لقد بدانا بعد أثينا ـ وكنا قد تناولنا افطارنا ـ نتحدث .. ولما كان فينا الانجليزى والفرنسى والامريكى والسويسرى والروسى والعربى ، فقد كان حديثنا فى البداية عن الجو ، ثم عن الاستعمار ثم عن مشروع ايزنهاور .

وسرعان ما حميت المناقشة وارتفعت الأصوات واشترك فى الحديث من لم يكن يشترك فيه قبل أن تحتدم المناقشة .

وترك بعض الركاب أماكنهم من الطائرة ليكونوا بالقرب من محور المناقشة .

وفجأة انخفضت الأصوات المرتفعة وتلاشت العبارات الحامية .

وتعلقت العيون ـ عيون الجميع ـ بجهاز صغير يحتل مكانه فى مواجهة الركاب .

لقد مرت الطائرة بعاصفة ثلجية حاول الطيار الماهر أن يتخلص منها فصعد بالطائرة الى أقصى ما يستطيعه من ارتفاع .

وللمرة الأولى تنبعث من الجميع صيحات متقـاربة فيها كلهـا نفس الخوف ، ونفس الألم .. وتساءلت وأنا فى حالة ذهول شبه كامل .. لماذا تجمعنا الاخطار التى قد تحرمنا من الحياة ، ولا تجمعنا الحياة نفسها ؟

وهمست بهذا السؤال الى جارى فلم أجد عنده الجواب .. بل لم أجد عنده اى جواب .. ولم اجـد جوابا حتى من نفسى القلقة الجزعة على مصيرها .

وأعلن قائد الطائرة انفراج الأزمة .

وبعد دقائق كنا فى دوامة تحتدم المناقشات ، وترتفع الأصوات وغالبيتنا تتبادل التهم والقذائف .

ومن « بلجراد » الى « بخارست » ركبت الطائرة وحـدى ، لم يكن أحد معى سوى طاقم الطائرة الصغيرة وحده .

وشعرت فى هذه المـرة أكثر من ذى قبل بالطمأنينة والهدوء ! لمـــاذا ؟

قد يكون لاعتقـــادى أنه اذا حـدث حادث ما فلن تكون هناك خسائر فى الأرواح ، فيما عداى .

وعند مطار « بوخارست » وجدت علمنا الجميل يرفرف على السارية بجوار أعلام الدول الصديقة ، وقفز قلبى ، وتمنيت لو أننى استطعت أن أعانقه ..

إما أضعف البشر عندما تستطيع قطعة صغيرة من القماش أن تدخل السعادة الى قلوبهم ..

ان السعادة أمر نسبى قد يجىء وقد يزول بسبب وبغير سبب ..

ونزلت فى فندق « اتنيوس » ، الفندق المعد لكرام الزائرين ، وفى هذا الفندق التقيت بكثير من الطوائف والأجناس ..

الأم التى صحبت ابنها الصغير من ريودى جانيرو ليشهدا معا أعياد التحرير فى رومانيا ، الزوجة التى صحبت زوجها الألمانى وقد فقد ذراعه اليمنى فى الحرب الأخيرة فاعتمد على ذراع زوجته الشابة ..

البطلة الزنجية التى جاءت لتلعب فوجدت من الحفاوة فى رومانيا ما لم تجده فى بلدها امريكا ..

فريق الصين الشعبية لكرة السلة ، وقد ترك حقائب السفر فى أرض الفندق واتجه توا الى أرض الملعب ليبدأ المران !..

عشرات من الأعلام كانت مرفوعة فى وسط المقاعد كل علم يدل على جنسية الجالسين حوله ..

ونحن جميعا ، نمثل أكثر من ثمانين دولة نتبادل الابتسامات ، نوزعها على من نعرف ومن لا نعرف .. نتبادل الأحاديث باللسان ، وباليد ، وبالنظرات ، لا تجد الا ابتسامة كلها رضى وسعادة ..

ولا تجد الا اشعاعا بالحب والود ، يؤكد لك أن البشرية دائما بخير ... ونمت مبكرا ، لأستيقظ مبكرا ..

لقد حرصت على أن أشهد يوم ٢٣ اغسطس من فجره..

لماذا نسعد بأعيـاد الغير ، كما يسعدون هم ، ولماذا نبتهج لكل افراح الغير ، كما يفرحون هم ، ولمـاذا نحيا مع غـيرنا فى آلامهم وآمالهم الأنهم يعيشون معنا،الأنهم يسعدون لسعادتنا ، ويشقون لشقائنا ؟ اننا نفعل ذلك لأنهم هم يبادلوننا شعورنا وأحاسيسنا .

ونحن عندما نفعل ، وهم عنـدما يفعلون ، أنما نستجيب دائما لنداء الانسانية . الانسانية التى جمعتنا معا فى الشقاء وفى السعادة .. أنهم منا ، ونحن منهم .

ومهما اختلفت اللغـات ، وتباينت الجنسيات فنحن جميعـا وحدة ، تسير الى هدف واحد وأن اختلفت وسائلنا ..

أننا جميعـا ــ شرقا وغربا ــ نستطيع أن نعيش معـا فى عالم واحد .. ونستطيع أن نجعل من هذا العالم الواحد جنة الجنان ..

وكنت ورفيقى « كوزما » اول من حضر الاحتفال من مليونى شخص شهذوا هذا الاحتفال ..

ودخل رئيس الجمهـورية فى الثامنة والنصف فحياه أكثر من ألف موسيقى وحيته الجماهير الفرحة ..

ومرت وحدات الجيش

ومرت طوائف العمال

ومرت الفرق الرياضية بملابسها الرسمية ، بل مرت بألعابها. كانت فرقة كرة القدم قد أقامت ملعبا متحركا من الشبان عـلى هيئة مستطيل وأقامت «جول» فى أوله .. و «جول» فى آخـره وأخذ الفريق ـ داخل المستطيل يلعب وهو مستمر فى السـير ! وكذلك فعلت بقية الفرق الرياضية .

واشترك موظفو الحكومة ومندوبو الاقاليم فى مظاهرة وطنية رائعة ، كما اشترك الشعب بجميع طوائفه فى الاحتفال الذى انتهى بعد أربع ساعات وكانت اصوات الجماهير تهتف كالرعد لذكرى ٢٣ اغسطس وتحيى نضال الشعب الرومانى الباسل وانتهى الاحتفال .

انتهى كما بدأ منذ أربع ساعات كلها روعة .. وبهجة ..



الثورة ... للرسام الرومانى اوكتاف بانشيلا

من العبودية الى التحرر

الرفيق «كيفو ستويكا» رئيس وزراء رومانيا .

ومددت يدى أصافح الرجل ، واذا كفة قوية خشنة كادت تطحن كفى لولا أننى صمدت لها جاهدا بكل قواى .

وتبادلنا كلمات قليلة ازددت بعدها اعجابا ببساطة الرجل الذى يرأس وزارة رومانيا وما كدت أبتعد قليلا عنه وانا أطمئن على سلامة يدى حتى همست فى أذن مرافقى كوزما ــ وهو أحد الشبان اللامعين فى وزارة الخارجية الرومانية :

ــ ان يد رئيس وزرائكم خشنة جدا .

فابتسم كوزما قائلا :

ــ الا تعرف أنه عامل .. انه «عطشجى» سابق بالسكك الحديدية .

وحاولت أن أعرف قصة هذا «العطشجى» الذى يرأس وزارة رومانيا فزاغ منى كوزما قائلا :

ــ وماذا يهمك من قصته ؟ . الا يكفيك أن تعلم انه أحد اولئك الذين صنعوا تاريخ رومانيا .. ان قصص الافراد لم تعد مهمة وانما المهم قصص الانتصارات التى تحرزها الشعوب .

وكنا وقتئذ فى دار رئاسة الوزارة فى الحفلة الرسمية الساهرة التى أقيمت بمناسبة الاحتفال بأعياد التحرير فى ٢٣ اغسطس الماضى والتى حضرها ٥٠٠٠ مدعو من كبار رجال الدولة وسيداتها وأسرة السلك الدبلوماسى

ومضى صاحبي يقدمني لنجوم المجتمع في بوخارست .
الرفيق كيسيليف .

ودهشت كيف جاء كيسيليف من القاهرة الى بوخارست ..
ومضيت اتأمل ملامح الرجل جيدا واذا هو يضحك قائلا :
ـ لا .. لست أنا سفير روسيا في القاهرة وانما انا كيسيليف آخـــــر ..
ـ عجبا ولكنك قريب الشبه به ، هل أنت من أقاربه ؟
كلا .. ومع هذا فان التشابه بيننا في الشكل والاسم يسبب لي حرجا كبيرا ، فكثيرا ما أفاجأ ببرقية تحمل اسمي واذا هي تخص الآخر .
ـ وماذا تعمل هنا في رومانيا ؟
ـ انني مراسل صحيفة برافدا السوفييتية .
وراح كيسيليف يقدمني الى زوجته والى زملائه .

ولما كانت المؤامرات الاستعمارية وقتئذ ـ أغسطس سنة ١٩٥٧ ـ على أشدها تجاه سورية فقد راح الاصدقاء الجدد يمطرونني بوابل من أسئلتهم عن الوضع في سورية ومدى قوة الرأى العام فيها ، وعن تغلغل القومية العربية .. و .. و ..

ولم أكد أنتهي من شرح الوضع السياسي في سورية ـ باختصار ـ وأؤكد ضرورة انتصار الشعب العربي في معاركه ضد الاستعمار حتى صفق الجميع .. وراح بعضهم يقبلني في شوق وفي عنف ، وسألت نفسي : لماذا يحبنا هؤلاء القوم الى هذه الدرجة ؟

ولم أتعب في الاجابة : انهم يحبوننا لاننا نحبهم .
وحفظت في تلك الليلة أول كلمة رومانية وهي «نوروك» ومعناها في صحتك ، وذلك عندما اقترح كيسيليف أن نشرب نخب الصداقة والمحبة بين الشعوب .

وعلى مائدة العشاء جاء جلوسى بجانب أحـــد الدبلوماسيين الغربيين فدعانى الى كأس من الفودكا فلما اعتذرت له رفع حاجبيه على شكل علامة استفهام وقال بشئ غير قليل من الدهشة المهذبة :

ــ الا تشرب الفودكا ؟

ــ نعم لا اشربها .

ــ حتى ولا فى سورية ؟

ــ ولا فى سورية .

ــ عجبا .. لقد سمعت أن الفــودكا هى الشراب الرئيسى فى ســورية .

وفهمت ماذا يعنيه من كلمته الاخيرة ، فقلت له : سيدى : ان سورية عربية وستظل أبدا عربية ، ومصر عربية ، وستظل دائمــا عربية ، ونحن نؤمن ايمانا لا حد له بالقومية العربية ، كما نؤمن فى الوقت ذاته بالتعايش السلمى ، ومحاربة السيطرة الاجنبية ، وكأنما ألقيت على الدبلوماسى الغربى دشا باردا فأخذ يتصبب عرقا .

واحببت أن أخفف عنه كلمتى فدعوته الى كأس من «السويكا» الشراب الوطنى الرومانى ، فى صحة السلام .

وأخــذت أتطلع الى وجوه « الشلة » وفيها الروسى والرومانى والالمانى والفرنسى وهم جميعا يشربون نخب السلام وتساءلت :

لماذا ابتهجوا جميعا عند ذكر كلمة السلام ؟

ولماذا نســوا أحزانهم ، وآلامهم ، وخلافاتهم ، وهم يشربون نخب الســلام ؟

الأنهم آباء وأمهات ؟

الأنهم وقود الحرب المقبلة ؟

الأنهم ضحايا تجار الحروب ومصاصى الدماء ؟

وأيقنت أننا جميعا منتصرون فى معركة السلام بفضل كفــاح الشعوب ــ كل الشعوب ــ من أجل السلام .

وقال كوزما : الا نستطيع أن نعيش دائما فى سلام ، كما نعيش فى هذه اللحظات الحلوة اللذيذة ؟ .

واكد الجميع اننا مستطيعون .. وأننا قادرون .. وأننا لا بد وان نحقق ــ ان آجلا وان عاجلا ــ هذه الرغبة .. رغبة الشعوب.
وتجولنا ــ كوزما وأنا ــ بين المدعوين والمدعوات واعجبت أى اعجاب بأناقة المرأة الرومانية .. كانت المرة الاولى التى أرى فيها مجتمعا رومانيا اشتراكيا بمثل هذه الاناقة .. وهذه الرفاهية .

* * *

وبعد منتصف الليل ، وفى الساعة الواحدة تماما بدأت رقصة البيريليتزا وهى أكثر الرقصات الشعبية ذيوعا بين المواطنين الرومانيين ويقوم بالرقصة عدد كبير من النساء والرجال على شكل حلقات ويخرج احدهم من الحلقة ، ويرفع منديله الى أعلى ويظل يدور فى الحلقة الى أن يختار واحدة من بين أفراد الحلقة .

ويضع المنديل حول عنقها فتخرج من الحلقة وتجرى ويجرى وراءها .. وترقص ، ويرقص ، وتركع ، ويركع ، ويتبادلان القبلات ويتراجع الفتى الى مكانه فى الحلقة وتظل الفتاة تدور فى الحلقة الى أن تجد الشاب الذى تريده ، أو الرجل الذى تريده ، فكثيرا ما كانت الفتيات تختار العجائز من الرجال .. وتجرى ويجرى وراءها ، وترقص ، ويرقص ، وتركع ، ويركع ، ويتبادلان القبلات .. وتتكرر العملية حتى الساعة الثالثة صباحا ، والجميع فى نشوة الرقص ، والقبل .
وأعود الى اللوكاندة ...
وفى طريق العودة ، يفتح لى كوزما قلبه وأفتح له قلبى ولا تستمر عملية الفتح هذه أكثر من دقائق معدودات .. ويقول كوزما وهو يبتسم : بعد غد تبدأ زيارتك الرسمية ، ولن أقول لك أن وطننا

حالٍ من الاخطاء ، بل أقول لك بصراحة أن لدينا الكثير من الاخطاء ، ونحن نبذل كل ما فى طاقتنا لنقضى على ما لدينا من أخطاء .. ونحن نعمل كل ما يمكن عمله لكى نتغلب على آثار الماضى .. تلك الآثار الاليمة التى تركت جذورها فى كثير من مرافق الحياة .

ونحن لم نصل بعد ..

ونحن فى الطريق ..

وعمر نهضتنا لا يزيد على ثلاثة عشر عاما فقط .

ونحن لا نريد منك المدح وحرق البخور .. بل نريد النقد والتوجيه .. النقد البناء والتوجيه المخلص .

وأعجبتنى صراحة كوزما .

لقد كان يتحدث عن وطنه بحب وشغف كما يتحدث عن حبيبته وزوجته تماما .

وقلت له : وهل تظن أن وطنا ما قد خلا من الاخطاء .

ان الصاعدين دائما هم الذين يعترفون بأخطائهم وفسادهم .... والصاعدون دائما هم الذين يستفيدون من أخطائهم ومن أخطاء الغير .. ومن فسادهم ومن فساد الغير .

وافترقنا على أن نلتقى فى الصباح ، ولم أنم ليلتها ..

ظللت أفكر فى الشعب الرومانى الصديق ، الشعب الذى أسرنى منذ ثمانية وأربعين ساعة .. لقد تعرض هذا الشعب لكافة صنوف الآلام التى قد تعرضنا لها ، تعرض لهجمات الحكومات المجاورة الطامعة فى ثرواته .

وواصل الشعب الرومانى كفاحه ــ كما واصلنا ــ من أجل التحرر من السيطرة الاجنبية ، واستطاع أن يحقق ــ كما استطعنا ــ انتصارات كثيرة فى هذا المضمار . وفى القرن الرابع عشر تعرض ــ كما سبق أن تعرضنا ــ للغزو التركى ، وظل الشعب الرومانى

فى نضال مستمر ضد العدوان التركى .. واتخذ هذا النضـــال فى كثير من الحالات صورا لثورات عنيفة فى مقدمتها ثورة سنة ١٨٢١ حيث حيث قاد « فلاديميريسكو » العمال والفلاحين والصناع واستولى على بوخارست واتصل بثوار اليونان لتدعيم الحركة الاستغلالية فى كل من البلدين رومانيا واليونان .

ولم يكتب النصر لهذه الثورة فى الميدان السياسى ، وان كتب لها النصر فى الميدان الاقتصادى .

وفى مايو سنة ١٨٥٦ منح مؤتمر باريس امارة مولدافيا وفالاكيا حق تعيين جمعية وطنية وحق اختيار امير لكل منهما واختـــارت الامارتان الكسندر كوزا واطلق على الامارتين لقب رومانيا ولأول مرة أصبحت كلمة رومانيا ذات معنى سياسي دقيق بعد أن كانت لاتحمل أكثر من معنى تاريخى بحت .

وتعاونت العناصر الاجنبية فكادت للحكم الوطنى وأسقطته عام ١٨٦٦ وعهدت بالحكم الى أمير أجنبى هو شارل هو هنزلزن الذى صبغ اسمه بصبغة رومانية ، وحوله الى كارول .

وبالرغم من أن الحكومات الرومانية قد اختارت النظام البرلمانى الا أن الحكم كان من نصيب أحزاب معينة ظلت متربعة على كراسى الحكم فى دورات متتالية بصورة ميكانيكية وتحولت رومانيـــا الى شــبه مســتعمرة .. وأصبحت رومانيا مسرحا لصراع حـــاد بين البنوك والشركات والمؤسسات الاجنبية .. وقام الفلاحون بثورات فى أعوام ١٨٨٨ و ١٨٨٩ و ١٨٩٤ و ١٨٩٦ وكتب الفشل لكل تلك الثورات . وفى عام ١٩٠٥ تأسست أول نقـــابة عمالية . وفى العام التالى تضاعف النشاط العمالى وأصبح للعمال خمسون نقابة ..

وظل النشاط العمـــالى فى نمو وازدهار ولعب دوره الخطير فى التحضير للثورات الرومانية الاقتصادية والسياسية .

واشتركت رومانيا فى الحرب العـــالمية الأولى ولكنها لم تحصل

على أية ميزات من قبل الحلفاء ، ولا من قبل « الأعداء » بالطبع .

وتولى كارول الثانى الملك عام ١٩٣٠ على غير رغبة منه وأصبح لعبة فى أيدى السياسيين الرومانيين الذين اصبحوا بدورهم لعبة فى أيدى الفاشية والنازية واشترك هؤلاء الساسة فى التحضير للحرب العالمية الثانية وكانت مهمتهم تزويد المانيا بمواد معينة أهمها البترول وضمان رومانيا لتكون فيما بعد قاعدة للهجوم على الاتحاد السوفييتى ..

ووقع كارول فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٨ معاهدة وضعت كل موارد رومانيا تحت تصرف المانيا ..

وفى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٠ انضمت رومانيا الى المحور الالمانى الايطالى اليابانى وبذلك أصبحت هذه البلاد العريقة فى تاريخها وحضارتها مجرد محمية هتلرية ..

ودخلت رومانيا الحرب وخسرت حتى نوفمبر سنة ١٩٤١ : ٢٠٠ ألف جندى بين قتيل وجريح وأسير ..

وبينما كانت قوات هتلر تتلقى الضربات فى ستالينجراد من شعب وجيش الاتحاد السوفييتى كانت المقاومة الشعبية تشتد داخل رومانيا وتعنف .. واستطاعت هذه المقاومة أن تخرج من معسكرات الاعتقال جيورجيو ديج ليتولى قيادة الكفاح التحررى ..

ونجح الشعب الرومانى بقيادة ديج فى القيام بدور جبار فى الحرب ضد الهتلرية واستطاع الجيش والحرس الوطنى وفصائل الانصار فى الاقاليم خلال معارك استمرت ٢٦٠ يوما اشترك فيها أكثر من ١٥ فرقة رومانية وأكثر من سرب للطائرات وفصيلة مضادة للطائرات وفرقة الدبابات ، أن يحرز النصر فى معارك عديدة ، وقد انفق الشعب الرومانى فى خلال هذه الفترة ٤٧٠ مليون لى . ـ وكل ٣٠ لى تعادل جنيها مصريا تقريبا وقدم الشعب الرومانى فى المعركة ١٥٦٤٥ عربة، ٢٤٧٧ قاطرة ، كما قدم الشعب فى المعركة أساطيل جوية وبحرية

ونهرية ، ساهمت فى انتصار جبهة الديموقراطية ، وقد تمكن الشعب من التخلص من حكامه الفاسدين بعد انتصاره فى معركة الديموقراطية، ودخل الشعب الرومانى فى مرحلة جديدة من مراحل تطوره الثورى وتخلص بمهارة وسرعة من دكتاتورية انطونيسكو وعصابته وبدأ يقضى على الفساد بقوة وعنف ويضم دعائم نظامه الجديد على أسس من النظافة والنظام ، والتعاون بين كافة طبقات الشعب ..

وكان انتصار الشعب على دكتاتورية انطونيسكو فى ٢٣ اغسطس سنة ١٩٤٤ ، وقد ظلت الاصلاحات الداخلية ، بطيئة وغير عميقة ..

كانت أسرة هو هنزلرن تمثل دائما أهم اعمدة الرجعية الداخلية والخارجية وكانت هذه الاسرة تملك اكثر من ١٥٠ ألف هكتار من الارض كما كانت تملك أيضا كل الاسهم فى ٣٠ مؤسسة صناعية ومصرفية. وكان الملك يجمع فى وقت واحد صفة الرأسمالى الاكبر، والاقطاعى الاول الذى يملك معظم أراضى رومانيا ...

وقد استطاع الشعب فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٧ أن يضع حدا لنهاية الاسرة المالكة واستبدادها ، وطغيانها .. وقد اعترف الملك فى وثيقة تنازله عن العرش بأن نظام الملكية لا يتفق مع الظروف الراهنة فى حياة الدولة .. بل انه — يعنى نظام الملكية — عقبة خطيرة فى سبيل نمو رومانيا ..

وبذلك انتهى التناقض الواضح الذى كان قائما بين الثورة الشعبية وبين وجود النظام الملكى الذى ظل طويلا ستارا لعشرات من المؤامرات التى تحاك ضد الشعب وضد مصالحه .

وأعلنت الجمهورية الرومانية لاول مرة فى تاريخها الطويل .

واتخذت من سنابل القمح ومن اشراقة الشمس شعارا لجمهوريتها الفتية ..

وولد الشعب الرومانى من جديد ..

مولد شعب جديد

قال لى مرافقى كوزما فى صبيحة ٢٤ اغسطس وهو يبتسم كعادته ، ابتسامته المشرقة التى لا تفارقه أبدا : نستطيع ان نأخذ اليوم اجازة .

قلت : وهل تعبنا من العمل حتى نأخذ أجازة .

قال : ان رحلتك الشاقة المتعبة التى اشتركت بنفسك فى وضع برنامجها تبدأ غدا ولهذا يجب أن تستريح اليوم خاصة وأن الدولة فى اجازة .

قلت : أنا أعلم أنك تعبت بالامس لانك ظللت ترقص حتى الثالثة صباحا وكنت بطل حلقة البيبرليتزا ومن حقك أن تستريح ثم من حق اسرتك أيضا ان تمنحها يوما .

قال : ان زوجتى سوف تسر جدا لهذه الاجازة ، وابتسمت وانا أقول له : وأنت ؟

قال : أنت تعلم اننى أعبد زوجتى ، لقد كنا معا فى جامعة كييف، احببتها فى السنة الاولى وتزوجتها وانا طالب .. ونحن اليوم من أسعد الازواج » وتمنيت لكوزما يوما جميلا ..

وصرفت السائق حتى يستطيع هو الآخر أن يتمتع بأجازتهوبقيت وحدى .. وأنا احب دائما ان أكون وحدى ، لا لاننى اكره الناس بل لاننى أحب أن أخلو دائما الى نفسى وتناولت فطورى وأخذت أذرع شوارع بوخارست ، مشيا على قدمى ، وانتقل من حى الى حى .. أقطع شوارع المدينة شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا .

وكنت فى بعض الاحيان أمشى فى المناطق النائية وأتجاوزها الى المناطق المزروعة خارج العاصمة وتعرفت الى بعض الاصدقاءعاونونى معاونة تامة فى معرفة الكثير عن الشعب الرومانى .. وعندما حل موعد الغداء لم أفكر فى العودة الى الفندق بل فضلت ان أتناول طعامى فى مطعم صغير فى مكان ناء .. ولم أجد أحدا فى االمطعم يعرف الفرنسية أو الانجليزية فآثرت أن أدفع النقود ، وأن أقف لاشير بيدى الى ما أريد تناوله .

وكان الغذاء شهيا لم أدفع فيه أكثر من خمسة عشر قرشا .

ودخلت صالونا للحلاقة واكتشفت ان الحلاق كان يعمل فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية لمدة ثلاثين عاما .

وراح الرجل يتحدث عن ذكرياته فى الموسكى والعتبة ، وشارع قصر النيل ، كما راح يغنى بعض الاغانى التى كان يسمعها فى مصر وكأنما لقيت كنزا .

لقد انتظرت حتى انتهى الرجل من عمله ، وصحبته فى جولة فى انحاء العاصمة ..

وعدت بعد أربعة عشر ساعة من المشى المتواصل وصعدت الى حجرتى فى الفندق وكانت مشكلتى الاولى كيف أستطيع تفريق أصابع قدمى ، لقد ارتبطت ببعضها ارتباطا وثيقا ..

لقد أصبحت لدى فكرة واضحة عن حياة الشعب الرومانى .. لقد اتصلت بطبقاته عمالا وفلاحين وموظفين ، وجلست الى عدد من المثقفين ، واستطعت أن أخرج من كل ما رأيته وسمعته وقرأته ان الشعب الرومانى راض بثورته الاشتراكية ، ولكى نتبين مدى هذا الرضى نعود ولو قليلا الى ما كان يلاقيه الشعب الرومانى

قبل ثورته الاشتراكية من التضخم والغلاء ، والمضاربات والسرقات وشتى صور فساد الحكم مما جعل الشعب لا يخرج من أزمة الا ليدخل فى أعنف منها .. وكانت خيرات الشعب وثرواته نهبا موزعا بين الاستعماريين الهتلريين والاقطاعيين والحاكمين .. وكان الفلاحون والعمال يعانون من شظف العيش ما يعيد الى الاذهان اقطاع العصور الوسطى ، ان لم يكن أشد .

ثم أصبحت رومانيا دولة ديموقراطية يشترك الشعب بشكل فعال فى ادارة شئونه ويصبح هذا الاشتراك احد المصادر الرئيسية لقوة الدولة الشعبية الاشتراكية .

وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٤٨ وافقت الجمعية الوطنية الجديدة على الدستور الرومانى الذى كان يتفق مع المرحلة الاولى للتغيير الثورى فى البلاد من الوجهات الاقتصادية السياسية والاجتماعية ونص هذا الدستور على صيانة هذه النتائج التى حققها العاملون بالفعل وعلى رأسهم الطبقة العاملة فى بناء المجتمع الاشتراكى ونص على أن هدف الديموقراطية الشعبية هو تصفية استغلال الانسان للانسان .. وضمان ملكية الايرادات والادخارات الناشئة عن العمل ، ودور السكنى ، والاقتصاد المنزلى وحق ميراث الملكية الشخصية . ونص الدستور على ان العمل واجب ، ومسألة شرف بالنسبة لكل مواطن قادر على العمل حسب المبدأ من لا يعمل لا يأكل، ومن أولى حقوق المواطن « الحصول على عمل مكفول يثاب عليه حسب نوع العمل وكميته » ، وقانون العمل يحدد تحديدا كاملا الاوضاع والشروط التى يمارس بها العمل بما فى ذلك حق العامل فى الراحة والتأمين من الشيخوخة ومن المرض ومن العجز وحق الراحة مكفول بتنظيم فترة العمل ، حسب نوع المهنة ، والاجازات السنوية المدفوعة الاجر ، ووضع بيوت الراحة والمصحات والمؤسسات الثقافية تحت تصرف العمال .. وحق الامن فى الحياة يضمنه النمو الكبير فى

التأمين الاجتماعى لاصحاب الاجور على نفقة الدولة وينص الدستور على حق المواطن فى التعليم وعلى المساواة بين كل المواطنين الرومانيين دون تفريق فى الجنس أو القومية ، وحق التعليم باللغة القومية وباستخدام هذه اللغة .. وقد نص الدستور أيضا على حرية ممارسة الشعائر الدينية على الا يكون هناك أدنى تفريق بين أتباع وكهنة الديانات المختلفة وغيرهم وان الحرية مكفولة للجميع ..

واعتمد الشعب الرومانى فى استخدام سلطاته على الجمعية الوطنية الكبرى التى أصبحت الهيئة العليا لسلطة الدولة ، وهى تقوم بانتخاب مجلسها الرئاسى ، وتقرر تشكيل الوزارة ووضع الخطط والمشروعات الاقتصادية وتقرير ميزانية الدولة والجمعية الوطنية تتكون من نائب واحد عن كل ٤٠٫٠٠٠ من السكان ينتخب لمدة أربعة سنوات، والمجلس الرئاسى للجمعية الوطنية الكبرى الذى يسأل امام الجمعية الوطنية عن اعماله يصدر المراسيم ، ويفسر القوانين القائمة ويلغى قرارات مجلس الوزراء اذا لم تكن متفقة مع القانون وفى الفترات الواقعة بين دورات الجمعية الوطنية الكبرى له أن يعفى الوزراء ويعين من يحل محلهم وذلك بشرط موافقة الجمعية الوطنية وللمجلس الرئاسى أن يعين أو يقيل القائد العام للقوات المسلحة ويقرر التعبئة الجزئية او العامة ..

ومجلس الوزراء الذى تشكله الجمعية الوطنية الكبرى هو الهيئة التنفيذية والادارية والى جانب كل هذا توجد المجالس الاقليمية وهى هيئات سلطة الدولة فى المناطق والقطاعات والمدن والمجتمعات الريفية وتقوم هذه المجالس بوضع الخطط الاقتصادية والثقافية للاقليم التابع لها وتضمن صيانة النظام العام واحترام القانون وحماية حقوق المواطنين وتقرير الميزانيات المحلية ..

وقد نفذ الدستور بنفس الروح التى وضعته فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٨ فتم تأميم المصانع والبنوك ووسائل النقل ...

وتحررت البـلاد من الاقطـاع وتم توزيع ١١١٠٠٠٠ هكتار من الارض على ٩١٨٩١٣ فلاح معدم واصبحت صناعة البترول فى رومانيا اول صناعة فى أوروبا ..

وازداد انتاج الصلب وتم صنع السيارات والجرارات و.و.

وارتفع رقم البلاد ذات العلاقة التجارية مع رومانيا من ٢٠ دولة سنة ١٩٥٠ الى ٧٥ بلدا عام ١٩٥٨ .

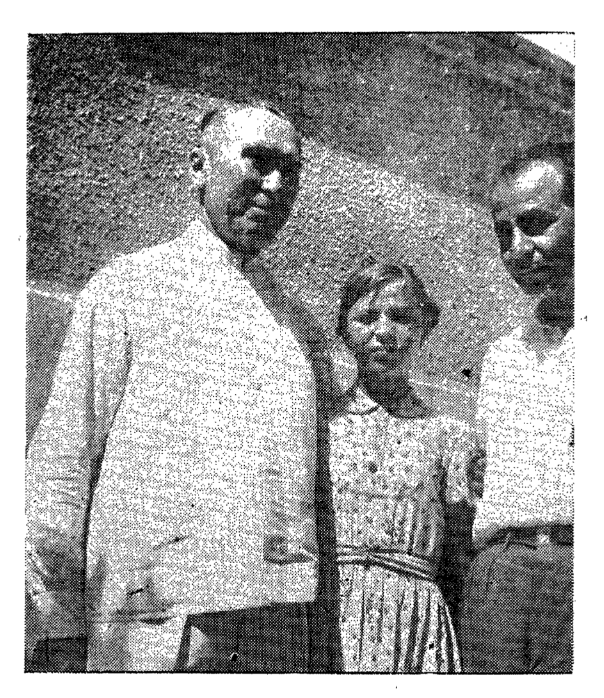
وزاد تصدير المنتجات الصناعية ، ومنتجات البترول والمنتجات الزراعية أضعاف ما كان عليه عام ١٩٥٠ وقد ارتفعت هذه الزيادة الى ٣١٠ فى المائة فى المنتجات الصناعية والى ٣٤١ فى المائة فى المنتجات الزراعية والى ٣٣٠ فى المائة فى منتجات البترول .

واحرز الشعب انتصارات باهرة فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والثقافة .

وكان أبرز مقومات النهضة الرومانية الحديثة اعتمادها على كل سكان رومانيا ، على الاغلبية التى تسكن معظم أنحاء رومانيا وعلى الاقليات القومية التى تسكن ترانسلفانيا وبانات ـــ ودوبروجا .. وكان انتصارا رائعا !!



صبرى أبو المجد على شاطىء البحر الاسود
مع طفلتين مسلمتين



مفتى رومانيا الاعظم مع صبرى أبو المجد وبينهما كريمة المفتى

مع ٣٥ الف مسلم

قلت للرفيق كوريانو ـ وكان كوزما قد تخلف عن مرافقتى عدة أيام ـ أريد ان أزور المسلمين فى كونستانزا .

وضحك كوريانو وقال فى مكر ودهاء : وهل انت من المتعصبين؟

وقلت له : الاسلام لا يعرف التعصب ولا يرضى عن المتعصبين وقد عاش بين ظهرانينا كمسلمين ملايين ممن يخالفوننا فى العقيدة ، فما وجدوا لدينا الا السماحة وقد نعموا بكل ما تنعم به الغالبية العظمى من ابناء البلاد ، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات وقال كوريانو ضاحكا للمرة الثانية : ستتعب فى البحث عن المسلمين لانهم على شاطىء البحر الاسود وبيننا وبين البحر الاسود مئات من الاميال ..

قلت : « أنا على استعداد لكى أسير من أجلهم ألوف الاميال لا لأنهم مسلمين بل لانهم ظلوا مئات السنين ـ وهم قلة ضئيلة ـ متمسكين بعقائدهم رغم ما تعرضوا له من العنت والارهاق عشرات السنين . اننى أريد ان أرى أولئك الذين رفعوا راية اسلام ، والاسلام على شاطىء البحر الاسود » ..

وفى الساعة السابعة صباحا كنا فى محطة بوخارست نأخذ القطار فى طريقنا الى كونستانزا ومحطة بوخارست تمتاز بعشرات من محال بيع الورود حتى لا يتحمل الجمهور عناء نقل الورود من المدينة الى

المحطة عندما يستقبلون او يودعون ضيفا عزيزا ، ومحطةبوخارست تمتاز ايضا بوجود عدد كبير من السيدات يعملن كمساريات ومفتشات وعاملات فى الورش وفى غيرها من الاماكن ..

وغادرنا بوخارست فى الثامنة صباحا وفى الطريق عبرنا نهر الدانيوب ــ وهم ينطقون اسمه هكذا هناك ــ وسألنى رفيقى هل أعجبك هذا النهر ؟

قلت نعم انه جميل ورائع ثم هو فوق ذلك هادىء حليم .

وقال كوريانو فى خبث ومكر :

لا يغرنك منه هذا الهدوء .. وهذا الحلم فكثيرا ما يثور ويدمر كل ما أمامه من عقبات وسدود ..

وفهمت ماذا يريد فقلت ضاحكا :

كالنيل اذن ..

وقال كوريانو : نعم .. نعم .. قلت :

لقد احتملتم كما احتملنا نحن الحكم التركى ٣٠٠ عام فلما ثرتم عليه قلعتم جذوره من أرضكم وقضيتم عيه القضاء الاخير بعد أن أيقن أنكم سالمتموه الى الابد .

واحتملتم طغيان الاسرة المالكة عشرات السنين وظنت هذه الاسرة أن العرش باق ما بقيت روماتيا فلما زلزلتم العرش وقضيتم عليه أصبح كل شىء هادئا جميلا .. حالما ..

وبدا لى انه استراح كثيرا لما قلته فراح هو الآخر يعدد مفاخر الشعب المصرى الذى طرد نابليون ، وهزم الانجليز فى رشيد ، وقضى على العدوان الثلاثى فى بور سعيد .

وظللنا فى أحاديث تاريخيــة الى أن لاحت لنا كونستانزا .. ورأيت مئذنة عالية وقبــة ضخمة ، تعلو على كل ما فى المـدينة من عمارات ، ولم أستطع أن أخفى فرحى وابتهاجى برؤيتى هذه المئذنة فى هذه الارض النائية . فصحت بالعربية : مئذنة .. مئذنة .

وتناولنا الغداء فى كونســتانزا على شاطىء البحر الاسود . . واتجهنا الى المسجد حيث استقبلنا الامام والخطيب استقبالا رائعا . كان يضمنى ويقبلنى بعنف وشدة ، وهو يقول بالتركية كلمات غير مفهومة .. وخلعت الحذاء وأخذت أتجول فى المسجد الـكبير الذى تحطم كل ما فيه الا قبته بسبب قنـابل الحلفاء فى الحرب العـالمية الثانية وقـد اعتمدت الحكومة الرومانية مبـالغ ضخمة لاصلاحه وترميمه ..

وكان العمال يبنون المئذنة فقلت لاحدهم : ان طريقة بناء المآذن غير معروفة فى رومانيا فكيف يمكنكم اذن بنـاء المآذن .. وضحك الرجل قائلا : نحن مسلمون وقد تخصصنا فى هذه العملية وورثناها عن آبائنا وأجدادنا ونحن لا نرفع المئذنة وانما يرفعهـا الله .. الله الذى ثبت قلوبنا بالايمان وجعلنا نحتفظ بعقيدتنا رغم مالاقيناه ، قبل الحرب العالمية الاولى ، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية من أهوال ومحن . .

وأخذ الرجل يقرأ القرآن بصوت جهورى وسألنى أن أقرأ له بعض الآيات القرآنية ليقارن بين طريقة النطق عندنا وعندهم . . وتجمع عدد كبير من المسلمين الذين سمعوا بوجود مسلم «محمدى» فى كونستانزا ..

وراح الجميع يعرضون الضيافة على بقـوة وعنف ، واعتذرت لاننى كنت فى ضيـافة الحـكومة الرومانيــة وتواعـدنا عـلى ان نلتقى فى اليوم التالى: يوم الجمعة .

وفى الساعة العاشرة كنت فى المسجد الكبير وحرص مرافقى على ألا يحضر هذه الزيارة فاعتذر وأخذنا ، أنا والمفتى الاعظم نتحدث تارة باللغة العربية الفصحى ، وتارة أخرى باللغة الفرنسية ، فاذا أعوزتنا الحاجة تبادلنا المذكرات والمسلمون فى رومانيا يعرفون اللغة العربية كتابة ولكنهم لا يعرفونها نطقا ، ولهذا فمن السهل عليهم أن يفهموا ما يكتب على أن يفهموا ما ينطق .. وأخذ الامام الخطيب يقرأ بعض آيات من سورة الكهف ، وكلما اقتربت الصلاة كلما ازداد عدد الوافدين الى المسجد الكبير حتى ضاق بهم على سعته فافترشوا الارض المجاورة للمسجد ـ كما نفعل فى القاهرة ـ وكانت خطبة الجمعة باللغة التركية فيما عدا الآيات القرآنية والاحاديث فقد كانت كلها كما هى باللغة العربية الفصحى .. ويوم الجمعة فى رومانيا بالنسبة للمسلمين أشبه بيوم عيد ـ بل هو يوم عيد فعلا ـ فالمصانع والمعامل والمصالح الحكومية تعطى المسلمين اجازة فى جزء كبير من هذا اليوم لاداء الصلاة .. ونظرا لأن الـ ٣٥ ألف مسلم الذين يقطنون رومانيا يسكنون فى ساحة كبيرة ، فان التقاء عدد كبير منهم فى أيام الجمعة يعتبر نادرا .

والعجيب أن الرومانيين عامة لا يعرفون أن من بينهم مسلمين لان سماحة الشعب وعدم وجود لباس للمسلم يميزه عن غيره ، جعل الكثيرين لا يلتفتون الى هذه الحقيقة والشخص المسلم الذى يرتدى ثوبا مميزا هو المفتى الاعظم واسمه يعقوب حاجى محمد الذى يبسط سلطانه الروحى على جميع أبناء الدين الاسلامى فى رومانيا .

والمسلمون فى رومانيا من أصل تترى وكانوا يسكنون القرم ثم هاجروا منها عام ١٩١٨ وانضم اليهم عدد كبير من المسلمين الاتراك الذين فروا من حكم مصطفى كمال أتاتورك ولذلك فان الكثيرين منهم يتكلمون اللغة التركية ولهم مدارسهم الخاصة التى تعلمهم العربية والتركية .

والكتب التى يتعلمون فيها الدين الاسلامى مطبوعة فى تركيا منذ أكثر من ٥٠ عاما ولك أن تتصور حالة قوم يأخذون دينهم عن كتب باللغة التركية وضعت بأسلوب قرن مضى من الزمان .

والى جانب المسجد الكبير فى كونستانزا يوجد مسجد السلطان عزيز وقد اهتمت به ورممته الحكومة وأزالت جميع العمارات من حوله وأطلقت اسمه على الميدان الكبير بالمدينة .

وهناك مساجد أخرى صغيرة يزدحم فيها المصلون فى أيام الجمع والاعياد .

وبالقرب من مسجد السلطان عزيز توجد دار الافتاء حيث يقضى المفتى الاعظم معظم وقته للاشراف على أمور المسلمين وهو يأخذ مرتبه من الحكومة كما يأخذ جميع موظفى دار الافتاء مرتباتهم منها أيضا . .

ويتبع دار الافتاء بعض المدارس والكتاتيب الاسلامية حيث يتلقى أبناء المسلمين دروسا فى الدين واللغة العربية وحيث يحفظون القرآن الكريم ويقوم بالتدريس فى هذه المدارس والكتاتيب لفيف من المسلمين الذين يقومون بوظيفة أخرى هى وظيفة القضاء .

والقضاء فى هذه المناطق بين المسلمين يعتمد على المصالحات وازالة أسباب الخصام وقد انقضت الدوافع الى الطلاق لان المسلمين فى رومانيا يطبقون الآية الكريمة التى تنص على اختيار حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة عندما ينشب بينهما من خلافات يقومان بالصلح .

ولم يحدث منذ سنوات عديدة أن التجأ مسلم أو مسلمة الى القضاء طالبا أو طالبة الطلاق .

والزواج فى الغالب ــ بين المسلمين كغيرهم من الرومانيين ــ

بدون مهر وتتعاون الزوجة مع الزوج فى بناء منزل الزوجية ..

والمسلم لا يستطيع أن يتزوج بأكثر من واحدة لان القانون العام يحرم الجمع بين أكثر من واحدة .

والمسلمون يتزوجون غالبا من المسلمات والمسلمون يتمتعون بما يتمتع به كل رومانى من حقوق ويقوم بكل ما يقوم به المواطن الرومانى من واجبات .

والمسلمون فى رومانيا يعملون الى جانب التجارة بالزراعة ، وقد زرت عددا من متاجر المسلمين فى كونستانزا ، فوجدت اقبالا على هذه المتاجر .. كما زرت المسلمين فى المزارع الجماعية .. وزرت مع المفتى الاعظم احدى تلك المزارع على مبعدة ٢٠ كيلو مترا من كونستانزا ، وقابلت عميد المسلمين فى المزرعة واسمه « المظفر » وهو موضع ثقة أبناء الاقليم ، ولذلك اختاروه عضوا بمجس ادارة المزرعة الجماعية .

قلت للمظفر اسأله عن ديانته ...

ـ مسلم ؟!

فهز رأسه علامة انه لم يفهم شيئا مما قلت.. فعدت اسأله :

ـ محمدى ؟

فتهللت أسارير وجهه وضحك بصوت عال قائلا بالتركية :

ـ مظبوط أفنظيم مظبوط ...

ودعانا المظفر الى قدح من الشاى فى بيته ... وهناك وجدت منزلا نظيفا أنيقا مؤثثا بأثاث جميل ، قدمه لى المفتى الاعظم قائلا :

ـ هذه ثمرة الحياة الجديدة .. لقد كان هؤلاء المزارعون فى الماضى لا يملكون شيئا ، أما اليوم فقد أصبحوا ملاكا .. وهذه بيوتهم وتلك أرضهم ...

وجلس المظفر يروى لى قصة المزرعة الجماعية ، فقال :

كنا ٣٢ أسرة اتفقنا على انشاء مزرعة جماعية وجمعنا كل ما نملك فبلغت الحصيلة ١٠٠٠٠٠ لى والجنيه المصرى يساوى ٣٨ لى — أى نحو ٢٦٣١ جنيها اشترينا بها ٢٠ فدان وثلاثة جياد وستة ثيران .. وبدأنا العمل وبدأ التنافس بيننا وبين جيراننا من غير أعضاء المزرعة ولا يزال حتى الآن .. هم يريدون أن يتفوقوا علينا فى وفرة المحصول ، ونحن نريد أن نستغل الارض الى أقصى حد ممكن .. ولن أذكر لك أننا تفوقنا عليهم ، وانما يكفى أن تعلم اننا أصبحنا ١٤٣ أسرة ، بعد أن انضم الينا ١١٠ أسرة ، وزادت مساحة المزرعة الى ألف فدان ، كما زاد عدد الدواب الى ٣٧ حصانا و ٣٦ ثورا ؛ وأصبح كل واحد منا نحن أبناء أسرة المزرعة الجماعية ، يملك بيتا مثل هذا البيت .

— وهل يتعلم ابناؤكم الزراعة مثلكم ؟

— ليس شرطا ، فبينهم من يقبل على الزراعة ولكنه يبدأ حياته أولا كغيره فى المدرسة الابتدائية والثانوية .. وأبواب الجامعات مفتوحة لأولادنا ، وقد تخرج فيها عدد كبير منهم ..

— وكيف يسير العمل فى المزرعة ؟

— طبعا لكل مساهم الحق فى أن ينسحب متى شاء ، بعد أن يصفى مركزه ، وفى كل عام نختار مجلس ادارة من سبعة أفراد ، هم الذين يديرون دفة العمل ، واعضاء المزرعة — أو الملاك — يحاسبون مجلس الادارة كل ثلاثة شهور فى اجتماع عام ... وفى الاجتماع السنوى نختار من بين الاعضاء عددا من القادة ، وكل واحد منهم مسئول عن ٩٠ شخصا ، ويتألف منه ومنهم فريق يعمل فى مهمة خاصة .. فهذا الفريق يختص بزراعة البطاطس ، وذاك يزرع البطيخ ، وآخر يهتم بالصناعات الزراعية ، ورابع يتولى بيع الحاصلات .. وكل فريق يؤدى عمله فى الحقل جماعة ويعود جماعة ، ويتناول أفراد الفريق طعامهم فى وقت واحد ...

ومجلس الادارة هو حلقة الاتصال بين هؤلاء القادة ، وهو الذى يشرف على ادارة المزرعة وتوزيع الارباح وتخزين الفائض من المحصول ..

ــ وكيف يوزع المحصول ؟

ــ كل فرد من أعضاء المزرعة له نصيب من مجموع الانصبة ، وهذا النصيب يأخذه على دفعتين .. الاولى بنسبة ٤٠٪ فى مستهل السنة الزراعية ، ليعيش بها طول الموسم ، والثانية فى نهاية العام بعد بيع المحصول .

ــ وكيف توزع الاجور ؟

ــ اذا اشتغل الفرد ثمانى ساعات يوميا يعتبر أنه اشتغل يوما واحدا ، فاذا زاد عدد الساعات الى اثنتى عشر ساعة كان تقديره يوما ونصف يوم وهكذا ، وفى نهاية العام يحاسب العامل على عدد الايام التى اشتغلها .. ويبلغ متوسط أيام العمل لكل فرد من أعضاء المزرعة الجماعية ٤٦٠ يوما ، مع ملاحظة اننا نتعطل يوم الاحد من كل أسبوع للراحة ، كما نتعطل فى الاعياد وبعض فصول السنة

ــ كم يبلغ متوسط نصيب الفرد من المحصول السنوى ومن الارباح ؟

ــ فى العام الماضى بلغ نصيب كل فرد من المحصول ١٢٤٠ كيلو جراما قمحا و١٦٨٠ كيلو جراما أذرة و٨٥ كيلو من السكر و ٥٠ كيلو من التبن و١٨٠ كيلو من البطاطس ، كما كان متوسط نصيب العامل الزراعى عن عمله فى السنة الماضية ١٦٢٠٠ لى ، هذا فضلا عن المبالغ التى نحصل عليها من بيع المحصولات الزراعية الزائدة عن حاجتنا ، ويبلغ متوسطها شهريا ٩٠٠ لى .

— هل تشترك المرأة فى الزراعة ؟

— طبعا .. كالرجل تماما .. وكل فتى بلغ السادسة عشرة من عمره مطالب بالعمل ، أما العجزة والمرضى فهم معفون من العمل ، ونحن نخصص لهم ٣٠٪ من الايراد

— هل بين أعضاء مجلس ادارة المزرعة امرأة ؟

— كانت بيننا امرأة فى العام الماضى ، ولكن احداهن لم تنجح هذا العام ، فقد رأينا ان نحتمل المسئولية وحدنا نحن الرجال على سبيل التجربة ..

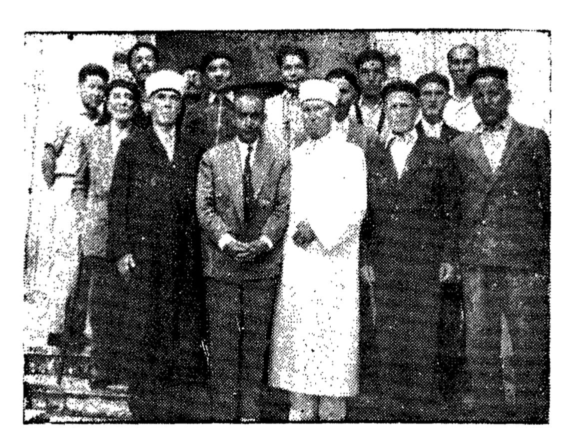
وتركنا المزرعة الجماعية .. وفى طريقنا الى بوخارست ، مررنا بمدينة « اوراشول ستالين » أكبر المدن الصناعية فى رومانيا .. وهى تقع على سفح جبل الكربات ، حيث يتساقط الثلج أكثر أيام السنة .. وهناك صادفنا جماعة من العمال تقضى عطلة نهاية الاسبوع ، وعندما عرفت انني مصرى ، دعتنا لنشرب نخب «ناصر»

وقد يبدو غريبا أن نجد من يهتم بالاحوال الجارية فى مصر على قمة جبل الكربات ، فى طائفة من العمال والصناع والفلاحين ، ولكن الحق أقول أن الوعى السياسى قد بلغ مكانة رفيعة لدى أبناء رومانيا وخاصة بين طوائف العمال ، وأذكر أن واحداً منهم سألنى :
ما هى أهم أعمال ثورتكم فى نظركم ؟

فقلت :

— القضاء على الملكية الفاسدة والاقطاع والرجعية ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وانتهاج سياسة حيادية ايجابية استقلالية حرة
فقال :

— لا .. ليس هذا أهم أعمال ثورتكم ، وانما الاهم حقا هو أنها رفعت سمعة مصر فى الخارج الى السماء السابعة



مفتى رومانيا وزعماء المسلمين فيها مع صبرى أبو المجد فى صورة تذكارية



مؤلف الكتاب مع اثنين من العلماء الرومانيين



فلاح رومانى يحصد الاذرة

معجزة فى ميدان التعليم

كان القطار العائد بنا من كونستانزا مملا للغاية وكان الازدحام شديدا لدرجة اننى ترحمت على ركاب قطارات الاسكندرية فى اواخر اغسطس واوائل سبتمبر . ولدرجة اننى حسدت ركاب قطار الصعيد بقفقه وزكائبه .. ولما كنت أعلم أن القطار لا يستطيع أن يقطع المسافة من كونستانزا الى بخارست فى أقل من خمسة ساعات وكان مرافقى كوريانو مشغولا عنى بخطيبته فقد آثرت أن أتركهما فى غرامهما العنيف الحاد ، وأبحث عن زميل أقطع به الرحلة الطويلة المملة . . ووجدته وكان لحسن الحظ استاذا فى جامعة بخارست وتعارفنا وتحدثنا كثيرا عن كونستانزا المدينة التى كانت فى الماضى مستعمرة اغريقية . وكانت على جمالها منفى للشاعر القديم «أوفيد» وقد مات بها عام ١٧ قبل الميلاد . لقد تحولت هذه المدينة الكبيرة الى قرية ثم استعادت مكانتها فاصبحت من كبريات الثغور فى العالم كله .. والمدن كالاشخاص لها دائما طوالع هبوط وارتفاع ، ولها أيام عز ومجد ، وايام اضمحلال واندثار .. تلك سنة الطبيعة هكذا قال رفيقى الجامعى .

وانتقلنا فجاة الى الحديث عن التعليم ، وافاض رفيقى فى هذا الحديث ، وراح يدلل بالارقام أن كل الشعب الرومانى يقرأ ويكتب .. بل يجيد القراءة والكتابة .. كانت نسبة الامية بين الفلاحات أكثر من ٧٠٪ ثم تلاشت نهائيا وكانت نسبة الامية بين الفلاحين أكثر من ٥٠ ٪ ثم غدت اليوم ٥ر٠ .

وقد أصبح التعليم ـ كما يقول الدستور ـ حقا للجميع .. والتعليم فى المرحلة الإبتدائية اجبارى فى السنوات الاربع الاولى .. أما

السنوات الثلاث الاخيرة فتعمل الدولة على أن تكون هى الاخرى اجبارية .. والتعليم فى المرحلة الثانوية مفتوح لكل الطلبة الذين أتموا الابتدائية بشرط اجتياز امتحان القبول .. وفى بعض المدارس توجد دراسات مسائية لاولئك الذين يرغبون فى استكمال ثقافتهم دون أن يتخلوا من أعمالهم .

والمدارس المهنية للتدريب ملحقة بالمصانع والادارات وتسمى فى بعض الاحيان المدارس الخاصة بالعمل وهى مدارس تقوم بتدريب الاختصاصيين فى شتى فروع الاقتصاد .. ويقبل فى المدارس الفنية كل من أتموا مرحلة التعليم الثانوى ممن يرغبون فى أن يكونوا عمالا حاذقين فى فروع الصناعة .. وتوجد مدارس فنية خاصة برؤساء العمل ، والدراسة فيها من سنتين الى ثلاث سنوات ، ويختار طلبتها من العمال المؤهلين الذين تميزوا بالقدرة والبراعة أو من الذين أتموا مرحلة الدراسة المهنية ، واكتسبوا خبرة عملية .

والتعليم العالى يشمل الجامعات والمعاهد العليا والتعليم فى هذه المرحلة الى جانب اهتمامه بالعلوم النظرية ، يهتم اهتماما خاصا بدراسة المسائل الخاصة بالبترول والتعدين والآلات الخفيفة والزراعة ، والمسرح ، والسينما ... الخ ..

وقد أسهم العلماء الرومانيون بقدر هام فى ميدان العلم وأدى كثير منهم أعمالا أصيلة فى البحث العلمى .

وتشجع الدولة الرومانية البحث العلمى لانه يقوم بدور بالغ الاهمية فى مهمة البناء السلمى .

ومن العلماء البارزين فى المحيط العالمى نيكولاى كريستسكو الذى ابتكر نظرية رياضية جديدة ، و ش.ا. جيورجيتسا الذى توصل الى حلول هامة فى مجال الرى ودراسة الاحواض البترولية .

والكسندر نيكوليسكو الذى قام ببحوث هامة فى ميدان ديناميكية المواد الصيدلية ... الخ .

ويقوم آلاف من رجال العلم بأبحاثهم فى ٣٢ معهدا تتبع اكاديمية الجمهورية الشعبية الرومانية ومعاهد الابحاث التابعة للوزارات المختلفة . وتوضع تحت تصرف الباحثين المراصد الفلكية والمتاحف العلمية والمعامل والمكتبات المتخصصة والمحطات التجريبية وقد أمكن للعلماء الرومانيين استغلال الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية واستنباط فصائل جديدة من القمح تمتاز بمقاومة أكبر لتقلبات الظروف المناخية .

وقد أسهم الطب الرومانى فى دراسة علاج الامراض الفيزيوباتولوجى وتضخم الغدد والملاريا والصرع ولاول مرة أجريت فى رومانيا عمليات جراحية فى شرايين القلب ونقل الانسجة .

وقد أنشىء فى بخارست منذ عشر سنوات معهد للابحاث الكيمائية أسهم بقسط ملحوظ فى حل مشاكل عديدة فى صناعة الكيمائيات كانتاج حامض الكبرتيك والاسمنت من الجبس .

هذا وقد ابتكر المهندس ديمتيريسكو طريقة جديدة لقراءة الرسوم الكهربائية للمخ .. كما قدم الدكتور بيتريا منهجا جديدا للبحث عن السرطان التجريبى بواسطة الكوربتزون .. وقد منحت جوائز الاكاديمية الشعبية الرومانية جوائز عدة عن أعمال فى ميادين مختلفة كالرياضيات والطب والاقتصاد والفلسفة والعلوم القانونية والتاريخ .. وهذه الاعمال قام بها شبان موهوبون جديرون بالتقدير والاحترام .

وعندما انعقد المؤتمر القومى للعلوم الطبية فى رومانيا فى العام

الماضي واشترك فيه ٩٦ رجلا من رجال العلم ينتمون الى ٣٤ دولة استمعوا فيه الى ١٥ تقريرا و ٤٩٩ محاضرة منها ٣٩٠ للعلماء الرومانيين و ١٠٩ للعلماء الاجانب .

والقى س . ويلكو عضو اكاديمية الجمهورية الشعبية الرومانية كلمة فى ختام المؤتمر أشار فيها الى بعض النتائج العلمية التى توصل اليها المؤتمر فيما يتعلق بأصل أمراض الروماتيزم ، ودور الاصابات الحادة فى الانف والحنجرة بوصفها العامل الاساسى فى الاشكال الحادة وشبه الحادة من الروماتيزم عند الاطفال والشبان .

وتكلم العالم الفرنسى الكبير البروفسور ا . لاكسانى فقال :

« عندما زرت معاهد الابحاث الرومانية كان مما خلف عندى أثرا عميقا كثرة عدد البحاثين الشبان وحماسهم ، ومعلوماتهم الكثيرة ومعرفتهم بما يجرى فى البلاد الاخرى من عمل وبأحدث الطرق التكنيكية . وبفضل التنظيم المطرد للتقدم فى بلادكم ، والفهم والمعونة التى تسديها الحكومة للبحث العلمى وبفضل رؤساء المدرسة الطبية عندكم ، وحماس الشبان الرومانيين وذكائهم ، فلا شك ان رومانيا ستحتل مكانة تزداد اهمية فى ميدان العلم العالمى » .

وتكلم كثيرون من العلماء الاجانب عن انطباعاتهم المؤتمر ، فقال ف . يونج عضو أكاديمية الجمهورية الالمانية الديموقراطية :

« كان مما أثار اهتمامى بصفة خاصة ما يجرى من نشاط فى معهد علم وظائف الاعضاء ، حيث تدور ابحاث ناجحة مؤسسة على نظريات العالم الرومانى الكبير دانيلوبولو اننى لم أر فى أوروبا كلها معهدا تتسق فيه النظرية والعمل هذا القدر من الاتساق كهذا المعهد ونظرا لما أقوم به من تجارب فى معهد علم وظائف الاعضاء فى برلين ،

فقد كان من حسن حظى ان أعرف مناهج العلم وطرائق البحث التى يتبعها عضو الاكاديمية بينيتاتو . وقد رايت تجربة على منهج « الراس المعزول » ، وسوف ارسل أحد البحاثة العلميين من معهد برلين الى رومانيا ، ليتعلم هذا المنهج المثير للاهتمام » ..

وقال البروفسور أ.ب. سابين ، من الولايات المتحدة الامريكية . انه تاثر تأثرا عميقا بالحلول المتعددة الناجحة التى وصل اليها العلماء الرومانيون فى عدة مسائل صعبة ، خلال السنوات الاخيرة وأنه يأمل ان يأتى العلماء والطلبة الرومانيون فى المستقبل القريب مع العلماء الامريكيين ليعلموا ويشاهدوا كيف يصلون الى حلول فى المشاكل التى تواجههم بحيث يجب ان نتعلم من بعضنا البعض ليتحقق بذلك التقدم العلمى الكبير » .

واهتمام رومانيا بالعلم ، لا يعادله الا اهتمامها بالثقافة ، وقد تجلى هذا الاهتمام بانشاء وزارة خاصة بالثقافة وفى انشاء معهد للعلاقات الثقافية بين دول العالم ، وفى انشاء جمعية للدراسات الشرقية تهتم بالآداب الهندية والصينية ، والفارسية ، والعربية ، وغيرها ... وغيرها .

وفى عام واحد ـ عام ١٩٥٦ ـ قدم صندوق دعم الادب ٥ مليون لاى ـ واللاى يعادل تقريبا ثلاثة قروش مصرية ـ بشكل قروض الى ٣٠٠٠ مستفيد وتسلم نحو ١٥٠٠ كاتب نفقات سفر بلغت ٢٠٠٠٠٠ر١ لاى ، كما صرفت فى هذا الشان نفسه معاشات لشيوخ الكتاب بلغت خمسة ملايين لاى .

والقصر الملكى السابق فى سينايا ، والقصر الملكى السابق فى بيلشور ، وعشرات من الفيلات الرائعة التى كانت مملوكة للامراء والاقطاعيين السابقين اصبحت اليوم أمكنة استجمام ، وعمل للكتاب وللشعراء ، وللفنانين وفى الصيف ، وفى الشتاء ، وفى الليل وفى

النهار ، نجد عشرات من الفنانين قد عاشوا فى هـذه الاماكن وكأنها بيوتهم يجدون كل شيء تحت تصرفهم .. لكل فنان غرفته أو جناحه الخاص لا يضايقه فيه رنين تليفون ، ولا صوت جرس ، ولا تتعبه مضايقات الحياة وتكاليفها .

فاذا جاء المســاء ، انطلق الضيوف يرقصون ويغنون ويخففون عن أنفسهم آلام التعب والارهاق .

وفى بعض الاحيان يخصصون جلسات للقراءة .. يقرأ الشاعر ما جادت به قريحته ويقص الروائى آخر فصول قصته أو روايته .

هذا الى جانب عشرات من المراسم التى هيأتها الدولة للرسامين والنحاتين والتى أمدتها بالمصانع الخاصة بعمل الماكيتات والموزايكو والالوان . وكل ما يحتاج اليه الفنانون فى نحتهم ورسمهم .

والى جانب هذا أتاحت الدولة للكتاب والادباء والفنــانين ــ كما أتاحت للعلماء أيضا المكتبات الضخمة وامكانيات النشر فى المجلات وفرص السفر الى الخارج لتبادل المعلومات والافكار .

هذا ولم تنس الدولة أن تحدد معاشات ضخمة للكتاب والفنانين والعلماء ويتراوح المعاش الشهرى بين ٢٠٠٠ لاى ، ٣٠٠٠ لاى .. ولهذا فقد ارتقى العلم والفن وارتفع المستوى الثقافى للجماهير بصورة لاتدعو الى الاعجاب فحسب بل تدعو الى الفخر أيضا .

وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام الحقائق التالية :

* فى خلال سبع سنوات منذ ســنة ١٩٥١ حتى أوائل عام ١٩٥٨ ــ أصدرت دار الدولة لنشر الآداب والفنون فى رومانيا ٢٧٠٠ كتابا وبلغ عدد النسخ المطبوعة منها فى المجموع ٢٩ مليون نسخة . اى بمعدل كتاب و ١١٣٠٠ نسخة كل يوم .

* وفى خلال السنوات السبع الاخيرة تم طبع ٣٠٠٠ كتاب أدبى في عدد من النسخ بلغ مجموعه ٦٨ مليون نسخة .

* وقد بلغ عدد ما طبع من الكتب التكنيكية فى عام واحد ماكان يطبع طوال ٢٥ عاما فى أيام النظام القديم .

* ووصل ما طبع من الكتب السياسية والاجتماعية فى خلال السنوات السبع الاخيرة ١٢٥ مليون نسخة .

* وفى هذا العام نشرت هذه المؤسسة أكثر من مليونى كتاب للمؤلفين الرومانيين الكلاسيكيين والمعاصرين أمثال شكسبير وجوته ، وجوجول، وهوجووسيلر ، ومولير وتولستوى، وبوستر وبريشارد وبرول وجوركى وسيجهرز وتوماس مان ... الخ .

* والى جانب الصحف التى تصدر بالرومانية تصدر بعض الصحف بلغات أجنبية مثل رومانيا الحديثة بالفرنسية ونارد دينا رومانيا بالروسية والمجلة الرومانية بالانجليزية والفرنسية والالمانية والصينية .

* وتصدر فى رومانيا ٣٠٠ مجلة وجريدة تظهر يوميا فى حوالى ٥ مليون نسخة يقوم مجمع الطباعة بطبع ٢ مليون نسخة منها .

* والاقليات القومية لها مجلاتها وجرائدها فى لغاتها الاصلية وفى خلال السنوات العشر الماضية تم طبع ٤٦٤٠ كتابا باللغات المجرية والالمانية والعربية والاوكرانية وغيرها ... وغيرها .. وفى رومانيا ٣٥٠٠ مدرسة وجامعة هنغارية فى كلوش وأكثر من معهد عال يتولى التدريس للاقليات بلغاتهم الاصلية .

* وفى بخارست وحدها أكثر من ٢٠ دار للنشر تطبع كل يوم ١٠٠ ألف نسخة من كتب العلم والفن .

* وفى رومانيا ١٤٠٠ مكتبة بها ١٤ مليون كتاب ، وبها ١٢ ألف

بيت للثقافة فى الريف فقط وقد القى فى خلال شهر واحد اكثر من ٣٠٠ الف محاضرة كما نظم اكثر من ١٨٠ الف ندوة اجتماعيةاشترك فيها مايربو على ١٩ مليون فلاح .

*وفى رومانيا مدارس للثقافة العامة عددها ١٥٩٦٣ مدرسة بها نحو ٢ مليون طالب وطالبة ، ٨٨ الف مدرس واستاذ ، ١٢٨ بيتا للطلبة بها ٢٦١٨٦ طالبا يتمتعون بكل وسائل الراحة .

* وفىرومانيا ٣٥مسرحا للدراما ، ٥ مسارح للاوبرا ، والباليه ، ٣ قاعات للميوزيكهول ، ٤ مسارح للاوبريت ، ٢٢ مسرحا للعرائس ، ١٧ أوركسترا سيمفونية وسيرك ، ٦ فرق فنية وعدد لا يحصى من اوركسترا الموسيقى الشعبية منها ٣٠ الف فرقة فنية للهواة تعمل فى الريف تضم ٥٠٠ الف شخصهذا بالاضافة الى ٥٦٠٠ فرقة فنية للهواة ، ١٦٠٠ مجموعة للغناء ، ١٧٠٠ مجموعة للرقص تعمل تحت رعاية النقابات . وقد قدمت المسارح فى العام الماضى ١٥٧٠٤ حفلة أمام سبعة ملايين ونصف مليون متفرج .

* وفىميزانية الدولة لعام ١٩٥٧ أكثر من عشرة مليارات لاى للاعمال الاجتماعية والثقافية منهـا ٢٨٥ر٤٤٠ر٠٠٠ لاى للتعليم ، ومليار لاى للعلم والثقافة .

* من يتصور أن هذه هى الحالة الثقافية فى دولة كانت نسبة الامية فيها الى ثلاثة عشر سنة مضت تبلغ ٣٨ر٢ ٪ .

من يتصور أن نسبة الامية هذه تصل اليوم الى ٥ر٠ ٪

انها ، بحق لمعجزة ، معجزة الايمان بالثقافة كعامل من عوامل التطور الاقتصادى والسياسى .

الطريق الى الاشتراكية

فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ احتلت القوات البريطانيــة ارض مصر ، وكان أول عمل قامت به هذه القوات لتحطيم الحركة الوطنية الغــاء الجيش المصرى واغلاق المصــانع والورش والترسانات وبيع آلاتها وأدواتها بالمزاد العلنى بأبخس الأثمان ... ثم عمدت بعد ذلك الى الغــاء المدارس الصناعية ــ كل المدارس الصــناعية ــ وحاربت الصناعة الوطنية لاحلال الصناعة الانجليزية مكانها .

وأخذ الاستعمار البريطانى يزرع فى قلوب أفراد الشعب ان مصر لا تستطيع ان تكون بلدا صناعيا لانها لا تملك مقومات الصناعة .. وانها لا بد وأن تكون بلداً زراعيا يعتمد على الزراعة فى كل شىء .

وأخــــذ الاســــتعمار البريطــانى يزرع فى قلــوب أفــــراد الشــــعب أن مصر لا يمكن أن تعتمــد الا عــــلى محصــــول واحد هو القطن ، ثم راح يربط هذا المحصول براس المال الانجليزى حتى يتسنى له القبض على كل اقتصاديات مصر وما فعله الاستعمار البريطانى لم يكن سياسة مرتجلة ولم يكن نتيجة ضيق أفق اربابه وآلهته وانمــا جاء متفقا مع الف باء الاســـتعمار الذى يحارب أول ما يحارب التصنيع ويفرض ــ أول ما يفرض على الدولة التى منيت به ــ الاعتماد على محصول زراعى واحد .

وما فعله الاستعمار البريطانى فى مصر فعله الاستعمار الالمانى فى رومانيا ... ولهذا فقد ظلت رومانيا بلدا زراعيا يعتمــد دائما على القمح ، والقمح وحده حتى يتيسر للاستعمار واذنابه السيطرة على كل امكانيات البلد ، وحتى لا تتاح لرومانيا فرصة التحرر من الاقطاع والفساد .

وفى الحملات الانتخابية الاخيرة فى رومانيا وحتى بعد قيام الثورة الرومانيــة ونجاحها فى القضاء على الملــكية والاقطاع والفســاد كان الساسة العاطفيون يقولون فى رقة وشاعرية تذوب لطفا وظرفا «ان رومانيا مقدور عليها أن تظل بلدا زراعيا وانها لا يمكن أن تكون بلدا صناعيا» . كما راح هؤلاء الساسة العاطفيون يندون بالكهرباء ، ويتباكون على الريف الجميل الذى ستتغير ولا شك ـ بعد ادخال الكهرباء ـ خصائصه الجميلة ، وستعمل الكهرباء على افساد جوه الشاعرى الجميل ، وعلى تشويه مناظر أكواخه التى تبعث الهــدوء والراحــة والضوء لكل فلاح .

وبالطبع انهزم الساسة العاطفيون وسارت عجــلة التصنيع فى طريقها المرسوم لها تعمل على تغيير البلاد وتطويرها ، وتدفعها الى الاشتراكية .. ونجحت رومانيــا فى أن تصبح بلدا صــناعيا وقد طفرت من عينى الدموع عندما وقفت فى مصانع ٢٣ أغسطس أشهد كيف تتحول قطعــة الحديد الضخمة الى ديزل .. وطفرت أيضــا الدموع من عينى عندما رأيت فى مدينة أوراشول ستالين كيف تتحول قطع الحديد فى دقة ومهارة الى جرارات وعربات .. وكنت أتطلع باعجاب بين آن وآخر الى عمال هذه المصانع ـ هؤلاء الذين صنعوا الديزل والجرارة والآلات الثقيــــلة وقد كانوا الى الامس القريب لا يكادون يرتفعون بالعقل عن مستوى الحقل .

ثم قفز قلبى عندما تصورت أننا بعد شهور عديدة سنصل الى هذا المستوى .. وأن عمالنا الذين نبتوا فى ريف الجمهورية العربية سيتحولون الى عمال مهرة يغيرون مجرى التاريخ .

وقد تحدثت مع بعض العمال عن شعورهم وهم يركبون الجرارات والعربات التى صنعوها .. فكان ردهم « انــنا كالآباء الذين رزقوا بالأطفال بعد طول العقم .. »

وقدموا الى عددا من العمال النموذجيين :

رودلف يعيش سنة ١٩٥٩ .
جورجى يعيش سنة ١٩٦٠
أيون يعيش سنة ١٩٦٣

ولم افهم مدلول هذه التسميات آلا بعد ما اكدوا لى أن هؤلاء العمال ــ وأمثالهم كثيرون جدا ــ قد انتهوا مما هو مطلوب منهم من أعمال فمثلا رودلف قد أنهى العمل المطلوب منه حتى سنة ١٩٥٩. وجورجى قد أنهى العمل المطلوب منه حتى عام ١٩٦٠ كل هذا تم فى سنة ١٩٥٧ .

وقدموا الى بعض فرق العمال الذين استطاعوا أن يسجلوا فى انتاج البترول زيادة قدرها ٢٤ ٪ عن العام الماضى فى نفس الظروف وبنفس العمال والآلات .

وتعرفت الى فريق من العمال فى منطقة بيتشينى وقد نجح هذا الفريق فى استنباط طريقة جديدة لحفر آبار البترول ووفر ٥٠ ألف جنيه مصرى .

وتعرفت الى فريق من عمال البترول رقم ٢ فى منطقة بيتشتنى حيث قام بانتاج ٣٠٥٠ طنا من البترول أكثر مما كان مقدرا له فى مدى ١٤ يوما .

وعشرات وعشرات من الانجازات السريعة التى جعلت مشروع السنوات الخمس ينتهي قبل الموعد المحدد له فى كثير من الصناعات بعام أو بأقل من عام .

لقد تطورت الصناعات فى رومانيا تطورا خطيرا . منطقة بلوديشتى التى كانت منذ سنوات قليلة منطقة جرداء لا ترى فيها الا حطاما سودته النيران أو حفرا عميقة خلفتها القنابل ، ثم بدأ العمل .. بدأ

فى بنايات نصف مهدمة على آلات بالية أصلحوها بقطع غيار قاموا بانتاجها بوسائل بدائية ثم أخذ انتاج معدات البترول فى الظهور وكانت مهمة الصناعة فى هذه المنطقة الجديدة لا تتلخص فى تسليم التركيبات الميكانيكية اللازمة للعدد المتزايد من المؤسسات البترولية فحسب بل فى تكييف أنواع الآلات الموجودة لكى تناسب الحاجات التكنولوجية الجديدة .

ومنطقة هوينيدوارا التى كانت منذ أكثر من عشرة أعوام تبدو مستسلمة لامجادها القديمة .. كانت المكان المختار للملك المجر ماتياس كورفين ، وكانت بالتالى قد شهدت عزاً وبذخا لا مثيل له .. ثم اضمحلت .. عفى الزمن عليها .. لم يبق منها الا قلعتها التاريخية « هونيادى » ثم تحولت الأيام وأنشىء المصنع وأدع لميهاى مورجو مهمة وصف هذه المنطقة بعد انشاء المصنع .. يقول ميهاى :

« منذ نحو قرن أقيم فيها مصنع غير بعيدعن مقام أسرة هونيادى العريق المهجور .. وارتفعت الافران العالية ، وقاعات الصهر ، والورش الملحقة بها ، واكتسب المشهد مسحة حديثة ، فأى تناقض غريب ، بل يدعو للقلق : ان يرى المرء على نفس التلال برج القلعة الرشيق الذى طلى من الخارج بالمربعات ، وعلاه القرميد المكسو بالمينـاء ملونا بكل الوان قوس قزح ، والى جانبه مداخن المصنع الخمس .

ومرت فترة من الزمن خيل فيها للمرء أن المصنع ، وقد اكسب المدينة كلها أيقاعا جديدا للحياة ، لن يكتفى بأن يغير من المشهد الخارجى فحسب،على أن شيئا لم يحدث ، ولم تقع المعجزة المنتظرة كان المصنع ملكا للدولة ، فلم يقم له منافس فى السوق ، بل دارت حوله المؤامرات السياسية ، حيث كان رجال الاحتكارات يقومون بالاعيبهم وحيلهم . كانت هونيدوارا تهدد الصناعة الخاصة ، ومن

ثم كان يدس لها لتقويض أركانها فى نفس مكاتب الوزارات التى كان ينبغى أن تكفل لها الرخاء والتقدم .

وهكذا أصبح المصنع الذى كان لديه امكانيات كبيرة لكى يصبح مؤسسه من الطراز الاول ، يقتصر العمل فيه على فرن واحد من خمسة افران . وفى عام ١٩٣٨ اقيمت فيه أفران من احدث طراز ولكن سكان هونيدوارا فى نفس تلك السنـــة ، لم يـكونوا جميعـا يجاوزون بضع الآف وزاد عدد الاطباء ثلاث مرات ، ولـكن نفس عربة الاسعاف التى تجرها الخيل ظلت تنقل العمال المصابين بحوادث العمل الى ديفان على بعد ٢٥ كيلو مترا .

واذا كانت طلبات الامدادات العسكرية ، فى أثناء الحرب ، قـد اضفت على المدينة وهم رخاء زائف يخفى خلفـــه الدمار ، فان هونيدوارا ظلت مع ذلك تبدو بمظهر مدينة مهملة وبقيت على حالها تكاد لا تختلف فى شيء عما كانت عليه منذ ٥٠ سنة .

وبدأ التغير عام ١٩٤٦ ، بدأ بطيئا ، لا يكاد يحس به فى السـنة الاولى ، أما السنة التالية ، فقد استحال كل شيء الى مصنع ضخم ، وارتفعت فوق البلدة الصغيرة روافع شاهقة وآلات حفر جبارة ، وجرت فى الشوارع سيارات النقل الضخمة الحمولة ، والجرارات ذات السلاسل تجر خلفها قوافل من العربات . وتجمعت جشـود من الرجال جاءوا من كل مكان يعملون فى حمية بين العنابر والثكنات التى وضعت تحت تصرفهم فى انتظار الفراغ من بناء المدينة الجديدة الا أنه فى تلك الفترة ، لم تكن المدينة الجديدة قد خرجت الى حيز الوجود بعد الا على أوراق مشروعات المهندسين . وهى تصميمات حسنة التنظيم ، ودقيقة ، تبين على وجه الضبط مواقع العمـارات والشوارع المستقبلة ، والملاعب والمستشفيات ، والمسارح ، والمدارس ، والمطاعم ، ودور الحضانة للاطفال .

تلك كانت أغرب فترة ، وأملأها بالحركة والاضطراب ، فى تاريخ هذه المدينة الواقعة بين الغابات النائمة ، اذ تتحول الى مصنع ضخم فتشبه العالم فى أيام الخلق الاولى ، حيث لم تكن الارض قد انفصلت بعد عن المياه .

وها هى هونيدوارا تبدو ، أخيرا ، بمظهر مدينة حقيقية . فاذا رؤيت من الطائرة وقد انكمشت ، بدت تماما بالمظهر الذى كان عليه تصميمها نفسه ، كما كان يبدو منذ بضع سنوات .

فهناك خط ازرق ، هو مجرى مياه نهر سيرنا ، ويقوم فاصلا بين المدينة الواقعة على ضفته اليمنى ، والمصنع يمتد كيلومترات عديدة على الضفة اليسرى .

والواقع ان المصنع اذ بعث من جديد ، أدى الى بعث جـــديد للمدينة . والى جانب الافران القديمة التى تم تشغيلها ، اقيم فـــرن جديد حجمه ٧٠٠ متر مكعب ، هو أكبر واحـــدث فرن من نوعه فى رومانيا ، والى جانب المصنع القديم أقيم مصنع جديد .

وأنشىء مصنع للفحم ، ومركز لتوليد الطاقة الحرارية ، وبدىء اخيرا فى انشاء مصنع للصهر يفوق كل ما شوهد فى رومانيا من هذا القبيـــل .

ولكن كيف السبيل الى احصاء كل ما أنشىء واستحدث فى مصانع التعدين المجمعة الضخمة ؟ وكيف السبيل الى احصاء كل ما أنشىء واستحدث على الضفة الاخرى من «السيرنا» فى المدينة نفسها .

ان البلدة الصغيرة قد استحالت الى مدينة صناعية تضم ٤٠ ألفا من السكان وليس ذلك الا البداية .

ذلك أن هونيدوارا قد استعادت مظهر المدن الذى كان لها فى القديم ، وان كان ذلك على مستوى آخر ووفقا لاحدث مناهج تشييد المدن .

ولا تكف هونيدوارا عن النمو والاتساع . فعلى طول خط مجرى «السيرنا» الازرق ترتفع كل يوم الى اليسار ، منشآت صناعية جديدة والى اليمين أحياء عمالية جديدة .

ولم تعد الا القلعة القديمة التى تجرى الآن أعمال ترميمها محتفظة بمظهرها الجليل وان كانت تبدو غريبة شاذة بالنسبة الى مانى هونيدوارا الجديدة » .

وما حدث فى هونيدوارا ، حدث فى بلوديتشي وميدياش، وعشرات من المناطق الصناعية التى بدأت منتجاتها تغزو الاسواق الخارجية وقد أعدت الدولة مشروعا للسنوات الخمس الثانى بعد أن كلل مشروع السنوات الخمس الاول بالنجاح وفى نهاية سنة ١٩٦٠ سيكون الانتاج الاجمالى الصناعى فى رومانيا اكبر منه فى عام ١٩٥٥ بما يتراوح بين ٦٠ و ٦٥ ٪ .

وقد رصدت الدولة لعمليات الانتاج ٥٦٪ من مجموع الاموال المخصصة لاعمال الاستثمار فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والثقافة.

وفى عام ١٩٦٠ سيجىء ترتيب رومانيا العاشرة فى العالم، والثانية فى أوروبا بين البلاد المنتجة للبترول، وقد زار رومانيا أخيرا احد رجال الاعمال العالميين ج. ب أوكوس وزار المؤسسات الرومانية وقال وهو يخاطب العمال الرومانيين :

لقد لاحظت أن معدات صناعة البترول الرومانية هى أفضل

المعدات من نوعها فى أوروبا . وان امام رومانيا فى رأيى افاقا واسعة للرقى الاقتصادى نظرا لمواردها الطبيعية الغنية، وما لديها من اخصائيين مؤهلين .. ان بلادكم غنية ومن النادر أن يجد المرء فى العالم مثل هذه الامكانيات .

وقد اثر تقدم رومانيا الصناعى فى تجارتها الخارجية وقد أقامت رومانيا فى السنوات الاخيرة علاقات تجارية عديدة ، وبينما كان عدد الدول التى تقوم بالتجارة مع رومانيا ٢٢ دولة فقط ، ارتفع هذا العام فى نهاية سنة ١٩٥٥ الى ٦٢ دولة .. ويعزى اتساع نطاق تجارة رومانيا الخارجية الى التغيرات التى حدثت فى تكوين الاقتصاد القومى الرومانى فأتاحت لها أن تصدر كميات أكبر مما سبق من السلع التقليدية المخصصة للتصدير وهى البترول والخشب والقمح ، ورومانيا تصدر الآن كما يقول مارسيل بوبيسكو وزير التجارة الرومانية ـ الآلات وتركيبات البترول كاملة وأجهزة الطرق والجرارات وقاطرات السكك الحديدية والمواد الكيماوية والاسمنت .

وفى حديث مع المهندس س.أ. بوزجان وكيل وزارة التجارة الخارجية قال :

أن عام ١٩٥٨ وهو العام الثالث من مشروع السنوات الخمس يشهد نهضة جديدة وقوية فى انتاج الآلات الضرورية للزراعة وصناعة سلع الاستهلاك وتستمر الصناعة الثقيلة بجميع فروعها فى النمو وتزيد أيضا انتاج معدات الصناعة الخفيفة والصناعات الكيمائية وصناعات المناجم » .

وبعد :

فقد اطلت فى الحديث عن الصناعة وذلك بغرض التأكيد .

بأن فى استطاعتنا الوصول فى الخمس سنوات القادمة الى مرحلة جديدة من مراحل تطورنا . ان الاسطورة القائلة بأننا شعب زراعى قد انهارت كما انهارت مثيلتها فى رومانيا . وان الاسطورة القائلة بضرورة الاعتماد على القطن قد انهارت كما سبق أن انهارت أسطورة الاعتماد على القمح فى رومانيا .

دولة زراعية لا يزيد عدد سكانها عن ١٧ مليون نسمة تستطيع أن تحقق فى السنوات العشر الماضية مثل هذه المعجزة .

هذا ما يجعلنا نتفاءل بالمستقبل القريب الذى يجعل منا دولة صناعية كبرى .. لقد ابتدانا المعركة .. معركة البناء والتشييد .. ونحن واصلون الى نتائج سريعة حاسمة فى هذه المعركة .

هكذا يقول تاريخ الشعوب .. الشعوب التى لا يستطيع الزمن أن يقف فى طريقها .



اطفال رومانيون يستقبلون صبرى ابو المجد

المرأة حققت المعجزة

عشرات من الصور الجميلة الرائعة ، رأيتها ، وعشت فيها ، وأعجبت بها ، وتمنيت من صميم قلبى لو أنها تكررت فى كل شعب من شعوب العالم . الفتيات الرومانيات اللواتى يذرعن الشوارع والطرقات وبأيديهن الانيقة الجميلة ، المكانس ، يعملن بهمة لا تعرف الكلل ولا الملل لتهيئة شوارع المدن الرومانية ، ورشها وتنظيفها .

موزعات البريد ، اللواتى يحملن على أكتافهن الرقيقة أكياس البريد ، بما فيها من خطابات ومجلات ويوزعن مع بريدهن مئات من الابتسامات الحلوة العذبة التى لا تفارق شفاههن .

الشابات العاملات اللواتى رأيتهن فى مصانع ٢٣ أغسطس فى بوخارست ، وفى مصانع الآلات الحديدية فى هونيدوارا ، وفى مصانع السيارات ، والجرارات بمدينة أوراشول ، لا تستطيع أن تجد فارقا بينهن وبين العمال الا فى شعورهن الطويلة الجميلة .

والفلاحات الرومانيات اللواتى عشت واياهن أياما طويلة فى أكثر من قرية وهن يزرعن الارض ، ويسقين الزرع ، ويحصدن البطاطس والاذرة ، ويعملن مع الرجال فى كل مكان ، يرقصن ويغنين ويتبادلن مع الشبان أحاديث الحب والود ، جهارا نهارا دون خشية من رقيب أو عزول ، فاذا ما انتهت ساعات العمل ، انطلقن الى بيوتهن أو الى جمعياتهن وندواتهن ، يقرأن ويتعلمن ، ويعلمن ويشتركن فى تقرير مصير وطنهن .

واعترف اننى فى كل مرة ، كنت اجد فيها امراة تعمل فى غير الحقل الذى تعودت دائما أن اراها تعمل فيه ، كنت أشعر بغبطة ما بعدها من غبطة ، ذلك لان اكتساب المراة حقلا جديدا ، وقيام المرأة بعمل جديد ، هو فى رأيى من أنجح الطرق الى اسعاد البشرية ومن أنجع الطرق للقضاء على الجوع ، والبطالة ، والمرض .

ولم أجد ، على كثرة ما رأيت فى رومانيا من الجنس الناعم ــ كما لم أجد فى الصين الشعبية من قبل ، الا طفلة ترضع او طالبة تدرس أو امرأة تعمل .

وقد يكون الدافع الى العمل الحاجة ، وقد يكون الشعور بالمسئولية الجديدة ، وقد يكون عدم الرغبة فى وجود امرأة تقعد فى البيت ، وترهق زوجها بما يثقل كاهله من مطالبها فى الحياة .

وقد نقلت هذا الاحساس الى اعضاء اللجنة المركزية لاتحاد النساء الديمقراطى فى رومانيا عندما التقيت بهن فى بوخارست ، وقد استمعت منهن الى قصة كفاح المراة الرومانية التى نالت بمقتضاه معظم حقوقها ومطالبها .

لقد كانت المرأة الرومانية ــ فيما مضى ــ محرومة من أبسط الحقوق الاولية ، وكانت تتلقى ٤٠٪ من أجر العمال الرجال عن نفس العمل ، ولم يكن لها أدنى قدر من الحماية والرعاية أثناء فترة الحمل والوضع ، وكان من المقرر مقدما أنها غير قادرة على أداء أنواع معينة من الاعمال ، وكانت رقيقا للاقطاعيين . وكان ٧٠٪ من النساء أميات محرومات من الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية .. بل لقد كن محرومات من حق ميراث الزوج .

فلما زالت السدود والقيود الموضوعة فى طريقهن ، أتيح لهن سبيل الحرية ، وأصبحت المرأة مساوية للرجل فى ميادين الحياة

الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، لها نفس الحق فى نفس الأجر والراحة والتأمينات الاجتماعية والتعليم ، ولها فوق ما للرجل من الحق فى الحصول على منح تعطى فى حالة الوضع وفى منح تعطى للأمهات اللواتى لا أزواج لهن .

هذا الى جانب أن الدولة قد وضعت تحت تصرفهن دورا للوضع والحضانة ورعاية الاطفال .. وأصبح فى رومانيا ٢٢٠٠ مديرات لنواد ثقافية ، ٥٥٠٠ أمينات لدور الكتب ، ٣٣٠٠ نائبات فى الجمعيات الشعبية ، ٢٧٥٠ ما بين أستاذة ومدرسة ومعيدة فى الجامعات والمعاهد العليا ، وقد ساهم فى مشروع السنوات الخمس ٣٠٠ ألف امرأة من بينهن ٥٣٠٠ عاملة فى صناعة التعدين وحدها ، ومن بينهن ٤٣٧٣٦ يحملن لقب عاملة نموذجية ، ٦٧٣ يحملن لقب مجددة ، ٦٥٥ باحثة علمية .

وقد سمعت الكثير عن البارزات ، منهن المهندسة لاريامايكو فى مصنع فلامورا ، انتقلت من عاملة الى مهندسة كبيرة . افروسينا سبورينافا وكيلة أعمال مصنع السجائر ، زرى ريجانى أحرزت جائزة الشرف من الدولة لانها أدخلت تحسينات فنية على أعمال الصناعة الآلية التى تدار بالبترول .

والمهندسة الوكا ربيان والاستاذة الجامعية أليس سافوفلو والكاتبة ماريا بانوسى وغيرها .. ممن تجاوزت سمعتهن العلمية والادبية حدود رومانيا ..

وسمعت – بل وعرفت الكثير – عن النائبات اللائى انتخبن فى المجالس الشعبية ، مثل اليزابيث تيكا ، وهى المسئولة عن لجنة السيدات أمام المجلس الشعبى ، وماريا بوبيسكو العاملة المنتخبة عن مصنع التريكو فى مدينة باكو والفلاحة أوليا سوتو رئيسة جمعية استغلال الاراضى فى ناحية أوراديا .

ولم أصدق عندما سمعت واحدة منهن تقول أن المرأة فى رومانيا تحظى بأجازة قدرها ١١٢ يوما قبل وبعد الوضع ــ وقــد جاءوا لى بعشرات من الامهات أكدن لى هذه الحقيقة كما أكدن لى أن ٥٠٠٠٠ر٥٠ سيدة ممن أنجبن اكثر من خمسة أطفال نلن جوائز من الدولة قدرت بـ ٣٧٤٠٠٠ر٠٠٠ر لى ونلن فوق هذا نياشين الام البطلة .

وانتهت ممثلات الاتحاد الديمقراطى من توضيح حقيقة الحركة النسائية فى رومانيا وقلت : معنى ذلك أن المرأة فى رومانيا تتمتــع اليوم بكل الحقوق التى يتمتع بها الرجل . وقالت زعيمات النهضة النسوية فى رومانيا معا : نعم بالطبع .

قلت : معنى ذلك أنه لم يعد لكن عمل .. وتضاحكن جميعــــا وقالت الزميلة رئيسة تحرير مجلة « فيميه » النسائية : اننا نعمل اليوم على صيانة الحقوق وحراستها وتوضيحها للاقلية الضــئيلة التى ما تزال الى اليوم تعارضها .

وفى الطريق الى مجلة «فيميه» قالت لى الزميلة ماريا رئيســة التحرير : اننا ما نزال بحاجة الى كفاح جديد .. وبدت منى صيحة دهشة واستغراب وقلت : كفاح جديد !!

قالت نعم : ان الرجال لا يستسلمون بسهولة .

وفى دار المجلة التقيت بأكثر من خمسة عشرة محررة وقالت لى ماريا : هؤلاءهن هيئة تحرير المجلة .

قلت : الا من رجل ؟

قالت نعم ، عندنا رجل واحد يتولى الشئون الادارية .

قلت وقد أردت أن أنتقم للرجال : معنى ذلك ان المرأة لا تصلح للادارة ، ان المرأة حتى بعد أن نالت كل حقوقها بحاجة الى فرامل .

وكانت صيحات كلها نفى لهذا المعنى وتأكيد بأن المرأة تصلح لكل شيء .

وتشعب الحديث واستغرق ثلاث ساعات كنت فيها أتصبب عرقا ...

قالت رئيسة التحرير : ان مشكلة الساعة بالنسبة لنا هى مشكلة ...

وقاطعتها : لا بد وأنها مشكلة القنابل الذرية ـ قالت ان هذه مشكلة الرجل والمرأة معا .. ولكننا لنا وحدنا مشكلة عويصة ... منذ أربعة أشهر ونحن نكتب فيها ، لقد تلقيت شكوى من عاملة تعمل هى وزوجها فى مصنع واحد وتعمل هى وزوجها على ماكينات واحدة ، وتحضر الى العمل ، وتعود منه ، كما يفعل زوجها تماما .. وعندما يعودان ظهرا يجلس الزوج على كرسى مريح يقرأ الصحف ويتسلى بالنظر الى المارين والمارات فى الشارع الذى يطل عليه منزلهما .. ويستعجل بين آونة وأخرى الغذاء . وأنت تعلم أن المرأة عندنا لا تجد من يخدمها لانها تخدم نفسها بنفسها .

قلت : وماذا تريد صاحبة الشكوى ؟ قالت : انها تريد أن تقسم أعمال البيت مع زوجها ، وزوجها يرفض .

واحتدمت المناقشة وقدمت اقتراحات عديدة رفضت كلها باجماع السيدات والآنسات اللاتى حضرن الاجتماع .

قلت : هل تقبل المرأة أن تعمل فى المصنع ساعات اقل من الرجل لتذهب الى بيتها لتنهى الاعمال المنزلية ؟ قلن : لا .

قلت : هل توافق المرأة على ان يقعد الرجل فى بيته ليقوم بالاعمال المنزلية ؟ قلن : لا .

قلت : اذن يجب ان يعيش الزوج والزوجة فى فندق بحيث لا يحتاجان الى أى عمل منزلى .

ورفض الاقتراح بالطبع .

قلت : اذن ماذا تريد المرأة ؟

قلن : اقتسام عمل البيت .

قلت : يعنى يغسل الزوج الحلل والاطباق ويقوم بالطبخ والغسل ويقوم بعمل دادة الاطفال .

قلن : اذا أراد ذلك .. فما المانع !!

قلت : واذا لم يرد ؟

قلن : يأخذ أعمالا أخرى .

واخذت السيدات والآنسات مساطر واقلاما ورحن يقسمن العمل المنزلى بين الرجل والمرأة .

وبالطبع لم يعجبنى هذا التقسيم ، وهو أن يتولى الرجل ملاعبة الاطفال أو يقوم بتصليح الكراسى ، ولمبات النور و.و.و. وغيرها من الاعمال البدنية العنيفة أو التى تحتاج الى عنف .. ثم تقوم المرأة بالباقى ..

وتوالت المشاحنات والمناقشات ووصفتنى احداهن بأننى رجعى — وقبلت الوصف الى حد ما .. وقلت لهن : أخشى أن يطالب الرجل بعد قليل بالمساواة التى كنتم تطالبون بها منذ زمن .

قالت احداهن : هل الخلاف فى الرأى بيننا وبينك .. يعنى انك تنقص مما وصلت اليه المرأة الرومانية من تقدم ورقى .

قلت : هذا شىء .. وذاك شىء آخر .

ان المشاكل التى بين الرجل والمرأة فى البيت ينبغى أن تحل — بل أنه اذ لم توجد مشاكل فينبغى خلق بعضها ليكون للحياة طعم .

اما ما استطعتم تحقيقه هذه السنوات العشر فانه معجزة ... معجزة كبيرة .

دكتوراه فى النبيذ

بعد ثمانية واربعين ســـاعة من اقامتى فى كلوش أجمل مدن رانسلفانيا قال لى مرافقى : بعد نصف ســـاعة تكون فى مصر .. وضحكت كثيرا لهذا الذى قيل لا واعتبرته نكتة .. وضحك أيضا من كان معنا من أبناء كلوش .. وبعد نصف ساعة كنا فى حدائق النباتات التى لامثيل لها فى انحاء العالم ، لانها جمعت كل مافى الدنيا من اشجار حيث تو فر لها الجو الملائم ، والمكان الملائم .

وبالرغم من أننا وقفنا طويلا امام سيدة من سيدات المدينة فى العقد الثالث من عمرها تذاكر دروسها فى الحديقة بصـــوت مرتفع يسمعه من هو على بعـــد أمتـــار عديدة .. وبالرغم من أننا وجـــدنا ٩٠٪ من زوار الحديقة يحققون الاغنية العربية : كل الاحبة اثنين اثنين .. وبالرغم من أن مناظر الحب العنيف التى كنت أراها فى كل أنحاء الحديقة بين الشباب وبين العواجيز على حد سواء ، كانت تبعث السعادة فى نفسى الا أننى لم أنس كلمة الرفيق كوزما وهو يقول لى بعد نصف ساعة تكون فى مصر .. وقلت أين هى مصر ؟

وضحك الرفيق مرة أخرى وهو يقول : لقد كنا فى الماضى لانعرف مصر الا بالاهرام وبالنخيل .. ووجود صورة للاهرام فى أية جريدة او مجلة معناها مصر .. ووجود أى صورة للنخيل فى أى بيت أو مدرسة او مؤسسة معناها مصر ، ونحن فى رومانيا لانملك الا شجرة واحدة من أشجار النخيل ، هى التى كانت تذكرنا — فى الماضى — بمصر . وهى فى بيت زجاجى به عشرات من النباتات التى لا تزرع الا فى المناطق الحارة .. ووجدت النخلة « اياها » وقد وقف أمامها عشرات من أبناء

الشعب الرومانى يتفرجون عليها ويعجبون بطولها وبكثرة ما تحمل من بلح امهات . وآلى جانب النخلة وجدت شجرة موز هى الوحيدة أيضا فى رومانيا . وقد بلغ من اهتمام المشرفين على الحديقة بها ، أن منعوا الاقتراب منها . . واشار الاخصائيون الى شجرة لايزيد ارتفاعها عن خمسة أمتار ، وقالوا هذه شجرة نادرة جدا وقد عرضت علينا بعض الحدائق الامريكية ثمنا لها أربعة ملايين من الدولارات ولكننا رفضـــنا .

قلت : وهل كان الرفض لاسباب سياسية ؟ قيل لى : لا . . اننا لا نخلط بين العلم والسياسة . لقد رفضنا لان الشجرة نادرة جدا وذات قيمة علمية كبيرة .

● ● ●

وقضينا ساعات طويلة فى هذه الحديقة التى جمعت كل نوع من أشجار المناطق الحارة والمتجمدة والمعتدلة وكانت بحق دنيـــا الاشجار . . وبعد حديقة النباتات زرنا معهد الدراسات الزراعية فى حضن الجبل المطل على كلوش . . ولا يوجد فى هذا المعهد طلبة ، وانما يوجـــد به أســـاتذة متخصصون . ورأيت أنواعــــا شتى من الورود لامثيل لها فى العالم ، ووجدت الدكتور ارنست بارستل وهو من أذكى الشباب الرومانى ، قال لى : لقد عشت سبع سنوات أحاول ان أمزج بين الطماطم وبين الفلفل وان اخلق منهمـــا نوعا جـــديدا واعطانى أرنست كميات وفيرة من انتاجه لعرضها على الباحثين فى وزارة الزراعة عندنا . . واحتفظت بها اسبوعا كاملا الى أن فسدت .

وجاء الدكتور أدولف مدير المعهد ، واحد الاساتذة العالميين الذين نالوا جوائز علمية عديدة وقال : لقد عشت فى هذا المكان خمسة وثلاثين عاما . . تقوم الحرب فأتطوع لخدمة بلادى وتنتهى الحرب

فأعود الى هذا المكان .. تستدعيني الجامعات الالمانية ، والفرنسية والروسية ، لالقاء محاضرات عن ابحاثي العلمية ثم أعود بعدها لاحبس نفسي في هذه المزرعة التي اقيم فيها أنا واسرتي منذ خمسة وثلاثين عاما ...

وأدولف متخصص في الخوخ والورد ، وقد توصل الى نتائج مذهلة اذ استطاع بعد ابحاث طويلة أن يجعل ثمرات الخوخ تتضاعف في الحجم أكثر من ثلاث مرات كما جعل كمية السكر في هذه الثمار تزداد وقد نجح أيضا في أن يضاعف كميات الخوخ في كل شجرة عشرات المرات .

وقد أراد ادولف أن يكرمني فقطع احدى ثمرات الخوخ الجديدة التي كانت مغلفة بكيس من القماش والح على في اكلها وقال أنه متفائل جدا لان مصريا سوف يفتتح ثمار هذه الشجرة التي يجري عليها تجاربه من خمس سنوات . وكانت الثمرة حلوة ولذيذة ، وضخمة . وبالطبع لا مثيل لها في العالم .

والدكتور أدولف يجمع الى جانب تعمقه في دراسة الخوخ ، ناحية علمية أخرى هي التخصص في الورد . فلديه مزرعة نموذجية تجمع عشرات من الانواع النادرة فاذا كنت في لندن أو باريس ، ودخلت معرضا للورود ووجدت زهرة نادرة ، تحمل اسم ادولف .. فاعلم ان هذه الوردة من انتاج الدكتور ادولف .. مدير معهد الدراسات الزراعية بكلوش .

وعلى ذكر التخصص في النباتات ، أروي هذه القصة :

على مقربة من كونستانزا ــ اسكندرية البحر الابيض ــ قيل لي ستزور مزرعة العنب . والحق أنني تضايقت . كيف أجيء من مصر الى شاطيء البحر الاسود لاتفرج على مزرعة عنب ، ولدينا منها

الكثير في القاهرة ، وفي غير القاهرة غير انني لم املك الا الترحيب بهذه الزيارة على امل أن اجد فيها شيئا جديدا .

وفي المزرعة التي تزيد مساحتها عن مائتي فدان كلها عنب،طلبوا مني ان انزل تحت الارض في جب عميق ، ونزلت ، وكان الجب أشبه ما يكون « ببئر يوسف » وكان الطريق مظلما للغاية ..وبعدأكثر من مائة درجة وصلنا الى مكان هادىء به انوار كهربائية قوية وقد وضعوا الكراسي في مدخل البهو ... وبدات المشكلة ..

صبوا النبيذ في الاكواب الستة ، لي ولمرافقي ، وخطيبته ثم للسائق والدكتور ايليا ثم لاحد الصحفيين المرافقين لي .. واعتذرت وقيل لي أن التقاليد التي لا يمكن التغاضي عنها تحتم ان اشرب .. والنبيذ الذي ذاقته الشلة كان عمره ٢٠٠ سنة ، ٣٠٠ سنة وقد وضعوه في هذا الجب حماية له من الغارات الجوية والسرقات .. ولا يفتح الجب الا للضيوف الكبار !

وكنت كلما تطلعت الى البنت المفعوصة التي لم يتجاوز عمرها سبعة عشر عاما وهي تعب من النبيذ المعتق ، كنت أضحك من نفسي وأتساءل : هل كنت استطيع ان أشرب كما تشرب هذه المفعوصة ؟ وقد فتحوا أكثر من مائة زجاجة بها مائة صنف من النبيذ المعتق ، وبعد باكثر من ساعة صعدنا الى اعلى وكان الجميع في حالة إعياء شديدة الا أنا والدكتور ايليا الذي تعود أن يشرب من هذا النوع عشرات المرات .. لقد كان ايليا طالبا في كلية الزراعة وظل سبع سنوات يدرس للدكتوراه .. وكانت رسالته فريدة في بابها .. وقد ناقشه كبار الاساتذة ، وناقشوا المواد اتي أحضرها أثناء مناقشة لقد كانت عشرات من زجاجات النبيذ .. وراح الاساتذة يناقشون

ويشربون وانتهت بان نال ايليا درجة الدكتوراه فى النبيذ بدرجةممتاز .. ممتاز للدكتوراه .. وممتاز للنبيذ .

والى جانب الاهتمام بالتعليم وجدت الاهتمام بالخدمات الاجتماعية . والخدمات الاجماعية اذا ما كانت على نطاق واسع ، واذا ما كانت على مستوى ملائم تلعب دورا خطيرا فى بعث الطمأنينة والثقة والضمان فى نفوس الشعب .. وتهتم الدولة اهتماما خاصا بالطفولة ، وبالامومة ، وبالشيخوخة ، وبكل حالات العجز وفى كل مكان تجد دارا للحضانة وعندما اقول فى كل مكان أعنى ما أقول بالضبط ففى كل مدرسة بها مدرسات ، وفى كل مصنع به عاملات وفى كل مؤسسة حكومية بها موظفات تجد دورا للحضانة .. فى المدرسة .. فى المصنع .. فى دار الحكومة .. فى الريف .. فى المدن فى الجبال .. على الشاطىء .. لابد من وجود دور الحضانة ولابد من الاهتمام الكامل بهذه الدور ، وعندما زرت مصانع ٢٣ أغسطس توجهت الى دار الحضانة التابعة للمصنع فابدت لى مديرة الدار اسفها لعدم وجود أطفال يستقبلوننى لأنهم كانوا عد غادروا المؤسسة فى رحلة الى الجبل .

ومن ابلغ مظاهر اهتمام الدولة بالطفولة أنها اسكنت هؤلاء الاطفال أجمل قصور رومانيا . وعندما ذهبت الى القصر الملكى السابق فى ضواحى بوخارست توقعت أن يكون القصر متحفا ولكنى فوجئت به وقد تحول الى قصر للاطفال ووجدت الاطفال يتسلقون الاشجار ووجدت بعضا منهم وقد انهمك فى ابتكاراته واختراعاته .. واحيانا يحيل الاطفال القصر الملكى السابق الى مسرح حيث يؤدون بعض التمثيليات او بعض الحفلات الراقصة .

والدستور الرومانى يكفل الحق فى المعونة الطيبة والحق فى الراحة والحق فى الحصول على التأمين الاجتماعى فى أثناء المرض أو العجز الكلى أو الجزئى عن العمل .

وفى رومانيا وزارة للصحة وأخرى للتأمين الاجتماعى وهذه الاخيرة من أهم الوزارات وتلعب دورا خطيرا فى تهيئة وسائل الراحة لافراد الشعب .

ولم يكتف الرومانيون بانشاء المستشفيات والمستوصفات ودور الوقاية والعلاج وانما عمدوا الى انشاء أماكن عديدة للراحة والاستجمام بأجر زهيد تدفعه المؤسسة التى ينتمى اليها العامل ، أو يدفعه العامل نفسه .

والى جانب هذا نجد قطارات صحية تجول أنحاء القرى والكفور باحثة عن المرض . وأحيانا يقطع أحد هذه القطارات أكثر من ٢٠ ألف كيلو متر .. وهذه القطارات تزيد عن ١٥٠ قطارا وهى مجهزة بأحدث المعدات الضرورية ..

وقد انخفضت حالات التيفوس بنسبة ٩٨٫٥ ٪ ، والملاريا بنسبة ٩٩٪ بالنسبة الى عام ١٩٤٤ .. وفى عام ١٩٥٤ انخفضت حالات الاصابة بالبلاجرا بنسبة ٨٦٪ عنها فى سنة ١٩٤٨ ..

وقد زادت نسبة المواليد بأكثر من ١٢٪

وقد تضاعف عدد الاطباء ..

وتضاعفت ميزانية الخدمات العامة فى السنوات الخمس الاخيرة واصبح كل فرد من الشعب مطمئنا الى أنه سيجد لقمة العيش اذا مرض أو تعطل او مات عائله ..

ان الاستقرار والطمانينة التى يشعر بها المواطن خير حافز للعمل وخير دافع الى خدمة الشعب .. الشعب الذى يضمن للفرد حقه فى العلاج ، وحقه فى العمل ، وحقه فى أن يعيش حياة كريمة عندما يمرض ، أو عندما يتعطل .

مع ملكة الفجر

كنت أسير فى شوارع تيرجومورش وهى من أجمل بلدان ترانسلفانيا ، فلمحت من بعيد على الجانب الآخر من الشارع الذى أسير فيه صورة كبيرة من صور الاعلانات كتب تحتها « حفلة الفجر »

وسرعان ما دعانى كوزما الى حضور الحفلة السنوية التى تقيمها فرقة الفجر فى المدينة ، والتى — لحسن الحظ كما قال كوزما كان محددا لها نفس اليوم وكان كوزما سعيدا جدا لانه سيرى هذه الحفلة التى تمثل باللغة الهنغارية — لغة الاقلية الرومانية فى ترانسلفانيا ولغته ولغة أسرته .. وكان سعيدا جدا لان الظروف ساقتنى الى هذه الحفلة فى الوقت المناسب

ولم نصل الى الحفلة فى الوقت المناسب بل تأخرنا نصف ساعة وتأجل رفع الستارة بسبب تأخرنا فلقد بالغ المسئولون فى المدينة فى اكرامى عندما علموا برغبتى فى حضور الحفلة ، واعتبرونى ضيف الشرف .

أما قصة التأخير عن حضور الحفلة فلابد من روايتها لانها بالرغم مما فيها من طرافة تدل على مغزى كبير

كان مرافقى فى المدينة من أبناء « تيرجومورش » قد دعانى الى جولة فى المدينة بالسيارة تنتهى بالصعود الى قمة الجبل الذى يحتضن المدينة .. وكان مرافقى قد حدد لوقت الجولة ساعة ونصف ، غير أننا عندما صعدنا فوق الجبل .. وأخذنا نسير على أرجلنا عند القمة

وجدنا شبانا وشابات، عمالا، وفلاحين فى مقهى صغير ، وقد اخذوا يغنون ، ويرقصون ويشربون .. ولم يكد واحد منهم يسال مرافقى عنى ، ولم يكد المرافق يجيبه بأننى مصرى .. وانني عربى .. حتى راح الجميع بلا استثناء يدعوننى الى شرب كأس من السويكا ورفضت فى بادىء الامر ، وضحك مرافقى قائلا : ان هذه تقاليد اهل الجبال ولابد من تلبيتها والا .. واشار الى رقبته وهو يضحك مرة اخرى ولبيت الدعوة وجلست استمع الى كلمـات الداعين التى تمتلىء بالحماسة ، وبالوطنية ، واخذوا ـ واخذت معهم ـ يشربون نخب الحرية ، والصداقة ، والسلام وناصر ، ومصر والقومية العربية ..

واكتشفت اننا تأخرنا عن حفلة الغجر .. وطارت بنا السيارة وكاد يحدث لها أكثر من حادث لولا مهارة السائق .

وجلست أشاهد الرقص والغناء .. والتمثيل .. ولم أجد غجرا يقطنون أوربا بحثا عن لقمة العيش وانما وجدت شبانا وشابات مثقفين ومثقفات يشغلون مناصب هامة فى المدينة ، ولكنهم مغرمون بالتمثيل ، والغناء ، والرقص ، وقد اختاروا لانفسهم هذا اللون من التمثيل والغناء والرقص .

وقضيت سهرة من أمتع سهرات حياتى ، واعجبت اعجابا لا حد له بملكة الفجر ، وأعجبنى فيها جمالها ، وذكاؤها ، ورقصها ، وتمثيلها وشعرها الطويل الذى يغطى اكثر من نصف جسمها .

وشكرت حاكم المدينة ، وكبار الشخصيات ، التى احتفلت بى فى هذه الليلة .

وذهبت لتناول العشاء فى المطعم الاول فى المدينة وهناك وجدتها : ماريا ملكة الفجر .. كانت قد تخلصت من شعرها ووضعته فى حقيبة يدها .. ولكنها لم تتخلص من جمالها ورشاقتها ، وظرفها

وراحت تروى لى قصة حياتها .. لقد بدات عاملة من عمال الريف الذين يفدون الى العاصمة جريا وراء لقمة العيش ، ووجدت عملا مناسبا لها منذ عشرة سنوات واخذت تعمل فى احد المصانع ، وفى الوقت نفسه تستذكر ، حتى اخذت شهادة عالية .. وظلت تعمل فى المصنع الذى بدات فيه خياتها الى ان اصبحت اليوم رئيسة لاحد الاقسام الكبرى .. وتحدثت عن فن الفجر الذى اجادته والذى برعت فيه الى درجة ان الحفلة السنوية التى تقيمها وزملاؤها وزميلاتها تبقى اكثر من خمسة عشر ليلة متوالية بسبب كثرة الازدحام .. والاقبال .. وقالت ماريا : « انني أتمنى أن أزور وفرقتى مصر .. انها أمنية » .. وأنا أدعو مصلحة الفنون الى دعوة هذه الفرقة ، لتعمل فى موسمنا الفنى بضعة أسابيع وأنا واثق ان الاقبال عليها سيغطى كل التكاليف التى يمكن ان تتمخض عنها هذه الرحلة .

* * *

والفنون الشعبية فى رومانيا تلعب اليوم دورا هاما فى تطورالشعب لقد تطورت هذه الفنون اولا ثم أخذت تتطور بالشعب ثانيا .. وهذا النجاح الذى احرزته هذه الفنون .. يجعل فى الامكان الاعتماد على الفنون الى أبعد الحدود .

وقد تحدثت فيما مضى عن رقصة البيريليبتزا ، احدى الرقصات الشعبية الرومانية والى جانبها توجد رقصة شعبية اسمها السيربا وهى رقصة تجدها فى فالاكيا ومولدافيا وبانات من المقاطعات الرومانية الكبرى بشكل أكثر ذيوعا ..

والرومانيون يرقصون السيربا فى الحقول بعد العمل واثناءالراحة فى القرية وفى السهرات ، وعند اجتماع غزالات القطن والصوف ، وفى احتفالات الخطوبة وفى الاعياد . والرومانيون اذا رقصوها يسمونها الرقصة الرومانية .

وفى فالاكيا يفتتح الرجال الرقصة بايقاع جذاب ، ثم تنضم الفتيات الى الرقصة بينما يخلد الرجال الى شيء من الهدوء ، ثم تأخذ الرقصة فى نغمة أكثر سكونا ، وتكون تشكيلات شبه دائرية أو حلزونية ..

أما فى منطقة موسكيل فان قائد الرقصة يأخذ اقرب فتاة اليه ويدور بسرعة مديرة للرأس فى وسط « الهورا » ثم يعود قائد الرقصة الى أول الصف . ويقود الرقصة بأن يوجه الراقصين ، وهو فى أول الصف ، الى اتخاذ كل تشكيلات الدوران والاشتباكات ، ويجعلهم يمرون تحت الاذرع المرفوعة دون أن يفضوا التشكيل النصف دائرى

وفى مولدافيا يرقصون «السيريا» بخطوات كبيرة متجهة الى اليمين ثم الى اليسار ، أو فى نفس الموقع مع ضبط القدمين على ايقاع قائد الرقصة — وتزداد الرقصة حماسا بالصيحات والإشعار التى يهتف بها الراقصون . ثم يزداد ايقاع الرقصة بسرعة ، وتنتقل من الخطوات الهادئة التى تبدأ بها ، حتى تصل الى ذروة الحماس

ويتفق عنصر اللحن مع عنصر حركة الرقص فى هذه الرقصة ، فاللحن تؤديه الة الكوبزا أو التيمبانون . وفى منطقة فيليكيا ، منذ عهد غير بعيد ، كانت آلة «الفوفا» تؤدى الالحان ، وهى تشبه اسطوانة مجوفة يغطى أحد طرفيها بجلد مشدود تنفذ منه فى الوسط حزمة من الشعر ، وكان العازفون على هذه الالة يستخرجون منها الحانا تشبه الحان الكونترباص .

وكل فتى وكل فتاة ، فى رومانيا ، يجب عليهما أن يعرفا على الاقل خطوات «الهورا» و «السيريا» فانهما اسهل كثيرا من خطوات الرقصات الاخرى .

* * *

ويعتمد الرومانيون فى نهضتهم الفنية على الفولكور الذى يعتبرونه

ـ على رأى الشاعر الرومانى الكبير ايجبنسكو ـ ينبوعا من ينابيع الصبا الخالد .

ولا يكتفى الرومانيون بما لديهم من أساس ثمين بل انهم يضيفون اليه باستمرار ويزيدونه ثراء وقد انشأوا معهدا عام ١٩٤٦ اخذ على عاتقه مهمة تجميع كل الاغانى الشعبية فى رومانيا وتسجيلها ثم استكملت هذه المجموعة باضافة مجموعات أغانى الموسيقيين الممتازين ويطوف أعضاء المعهد فى مجموعات بالبلاد لدراسة مواد الفلكلور وتجميعها وقد استمعت عند زيارة هذا المعهد الى كثير من هؤلاء الاعضاء الذين يذهبون الى الريف ، ويعيشون هناك عاما أو بعض عام ويختلطون بالفلاحين ، ويستمعون الى كل أغانيهم التى يغنونها فى المناسبات الشعبية دون افتعال ويسجلونها كما هى دون حذف أو تعديل .

وقد تطورت هذه الاغانى بما يتفق والثورة الرومانية .. فبدلا من أن تغنى الام .. فى الريف .

يا للبؤس يا للأسى .. أى خطيئة تلك التى أكفر عنها حتى يموت اطفالى جوعا» .

أصبحت الام تغنى

«نم يا صغيرى يا صغيرى .

حملتك على ذراعى الايام الطوال

أرضعتك من لبنى ورويت ظمأك من حبى

حتى اشتد عودك .. كبرت وأنت تبجل جمهوريتك الشعبية» .

ونسمع فى هذه الايام ـ فى قلب الريف ـ الاناشيد الشعبية

كان الاقطاعيون يغتنون من كدحنا فى الماضى ولكن العمل يلقى الآن

التقدير الحق من الجميع . من شغل العاملين نخلق السعادة في الربوع ، الموحشة الجدباء فنرى فيها انبثاق الزهور » .

وليست الاهمية قاصرة على دراسة الفولكور فى الريف بل أن هناك عناية فائقة بالفلكور العمالى ، ونتاج الفنانين الشعبيين فى الورش والمصانع تحتل مكانا هاما فى الفن الرومانى .

ومعهد الفولكور الرومانى يحتفظ بمجوعة بها ٠ ٧الف أغنية ، وأكثر من ٧ الاف اقصوصة ، ومجموعات من الهتافات والصيحات والرقصات الشعبية هى تحت تصرف كل هواة الفولكور وقداستمعت الى أغنية شعبية ترجموها لى تتسم بالبساطة

ينمو شعر البنات كذيل الفرس
أما شعر الولد ، فينمو كعرف الحصان .

واغنية شعبية أخرى ، سمعتها واعجبت بها لبساطتها وبعدها عن التكلف يغنيها أطفـــال القرية وهم يدقون الارض بأقــدامهم

أيها الدفء اطلع الأن من قلب الارض
أيها البرد ارجع الآن وعد الى الارض

واستمعت مرة أخرى الى اسطوانة فيها أغنية ريفية قريبة الشبه من بعض أغانينا الريفية التى نسمعها فى ليلة شم النسيم ، عندما يوقد الشبان النيران ويقفزون من فوقها ليتمتعوا بالدفء .. وبالسعادة .. وفى هذه الاغنية سمعت الشــــبان يصيحون وهم يقفزون فوق النار :

ان من يقفز مرة واحدة سيسرع به الصيف
ومن يقفز مرتين سيتزوج قبل الخريف

وبالرغم من أننى لست فنانا بل لست من هواة الفن . الا أننى

وبجدت الفن الرومانى على اختلاف أشكاله والوانه يجذبنى اليه ..
وقد سهرت ليلة مع الفرقة الفنية لعمال السكك الحديدية ، وهى فرقة غناء وتمثيل ورقص .. وبها ٢٧٠ عضوا فيهم ١٤ مهندسا ، ٤ طلبة وسبعة من العمال القدامى ، ٣٤ موظفا ، ٢٤ عاملا فنيا ، ١٨ من عمال التلغراف ، ١٢٤ من عمال الورش والمخازن ، ٤٥ من زوجات وأطفال موظفى السكك الحديدية .. ولدى هذه الفرقة من الرصيد ٦٠ رقصة و ٢٠٠ أغنية جماعية ، ١٥٠ قطعة موسيقية ، وعشرات من القطع الفنية الرائعة ، التى كان لها فى خارج رومانيا صدى عميقا .

ومادمنا قد تحدثنا ـ متطفلين عن الفن ـ فلابد من أن نذكر بمزيد من الاعجاب مسرح العرائس الذى أحرز لرومانيا شهرة عالمية وقد شهدنا هنا فى القاهرة جزءا من مسرح تسباندااريكا واعجبنا به أيما اعجاب .. وفى رومانيا يزيد عدد رواد مسرح العرائس عن ربع مليون متفرج كل عام .

ولابد أن نشير أيضا الى أن رومانيا تعانى ـ كما يقول بعضهم ـ من مرض جميل تغبط عليه هو حبها للمسرح .

ودرجة نهضة المسرح فى أى بلد لاتقاس بدرجة رقى المسرح نفسه ، وانما تقاس بمدى رقى الجمهور وحبه للمسرح .

ودور المسارح فى رومانيا ـ كما شاهدت غالبيتها ـ مليئة دائما بالرواد ومن الصعب فى رومانيا أن تحصل على تذكرة للمسرح الا بنفس الصعوبة التى تحصل بها على تذكرة لمباراة رياضية بين الاهلى والزمالك

وتذاكر المسرح رخيصة للغاية فى متناول كل أفراد الشـــعب وفى كل عام تعين الدولة المسرح بما لايقل عن ١٠٠ مليون لى أى أكثر من ١٦ مليون دولار . ونجد المسارح فى كل مكان .. فى الحدائق فى بيوت الطلاب والعمال .. وقد أعجبتنى فكرة مسارح الهواء الطلق حيث يتبارى الهواة فى كل فن بتقديم انتاجهم للجمهور مجانا

وفن السينما فى رومانيا ما يزال فى البداية .. فقد ظل ميدان الخلق والأبداع وانتاج أفلام سينمائية فى رومانيا ميدانا مجهولا ولم تظهر سينما حقيقية فى رومانيا الا فى أعقاب الحرب الاخيرة حيث قدمت الدولة أكبر عون ومساندة للسينمائيين الرومانيين وكان عددهم فى ذلك الحين قليلا وعانى هؤلاء الكثير من نقص الاستديوهات والمعدات الضرورية ونقص قصص السيناريو ونقص الممثلين السينمائيين ذوى الخبرة والدراية .. وقد تم القضاء على أوجه النقص هذه واتيح للسينمائيين الرومانيين امكانيات حسنة للانتاج فى عدة بلاتوهات وعدة معامل متعددة مزودة بأحدث المعدات والآلات وخمسة استديوهات .. وأول فيلم رومانى طويل هو «أغنية الوادى» عرض عام ١٩٤٩ وقد استقبله الجمهور بالرغم مما فيه من نقص استقبالا رائعا .. ثم كان فيلم «انتصار الحياة» و «الخطر بين الجبال» و «الصقر» ... الخ ..

وهذه الافلام ـ وقد شهدت بعضها ـ تصور الحياة فى رومانيا الشعبية تصويرا دقيقا وقد فاز بعض هذه الافلام فى مهرجان كان «عندنا فى القرية» سنة ١٩٥١، و«احتفال التون» سنة ١٩٥٤ .. كما فازت أحد هذه الأفلام « انتصار الحياة » فى مهرجان بومباى سنة ١٩٥٢ .. ويوجد برومانيا من دور السينما فقط ٩٨٩ فى الريف وتطوف القوافل السينمائية التى يزيد تعدادها عن ١٥٠ قافلة الى أبعد القرى والكفور .. وفى القرى من ١٩٥٠ــ١٩٥٥ شاهد ، ٣٢٤ مليون متفرج الافلام التى عرضت فى دور السينما الرومانية .

وكما قلت سابقا أننى متطفل على الفن ، فأنا لست فنانا ، ولست من هواة الفنون وكل ما أستطيع أن أقوله اننى عندما شاهدت الكثير من الروايات والمسرحيات وشاهدت أنواعا متعددة من الرقص والغناء فى المدن والقرى ، كنت أجد هدفا .. وهذا حسبى من الفن



اطفال رومانيون يبتسمون للسلام

النحات يون جاليا فنان الشعب الرومانى فى مرسمه



الفلاح ... بريشة تيودورنامان

كلنا نصنع السلام

الدنيا كلها ،شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ، أبيضها وأصفرها أحمرها وأسودها ... شبابها وشيبها ، أطفالهـا ونساؤها . من يسكنون المدن الشاهقة ، ومن يسكنون الخيام الممزقة ، من يقيمون فى القصور ، ومن يقيمون فى الاكواخ .. من يؤمنون بالاسـلام ومن يؤمنون بالمسيحية .. من يؤمنون باليهودية ، ومن يؤمنون بالبوذية والبراهماية ، ومن لا يؤمنون الا بالمادة ، كل هؤلاء يحبون السلام.. يؤمنون به ، يدافعون عنه ، يرون فيه لانفسهم ولغيرهم الخير كل الخير ..

ولو ترك لالهة الحرب ، وعبيد الاسلحة ، وأسرى الاحتكارات أن يعيشـوا على سجيتهم الحقيقيـة ، وأن يعودوا الى عقيدتهم الاصلية ، ولو علموا أن الحرب المقبلة ــ وسنحارب قيامها بكل ما نملك ــ سيكونون هم وأولادهم ، وأحفادهم ، وزوجاتهم ،وأمهاتهم، وأبناؤهم ضحاياها ووقودها ، لما فكروا فى غير السلام .

وأنت وأنا ، وهى وهو .. كلنا جميعا نؤمن بالسلام .. نحبه ، نعشقه ، نتمناه لانفسنا ولغيرنا .. نحب الحياة فيه ، والحياة به ، والحياة من أجله .. نحب السلام فى داخل أنفسنا وفى داخل أسرتنا ، وفى داخل بلدنا . ونحب السلام للدنيا جميعا .

وكما أنك لا ترتضى لنفسـك أن تعيش فى قلق وفى اضـطراب لا يمـكن أن ترضى لغـيرك أن يجـرب نوعا من هـذا القلق أو الاضطراب وأنا نفسى كفرد من أبناء هـذا الجيل ، يرى فى السلام

امنية من الامنيات الغاليات ، تمنيناه وما رأيناه .. وعشقناه وما نلناه .. أمى التى ماتت كانت تدعو لى وللناس جميعا بالسلام .. واخى الذى راح فى ريعان شبابه ، كان هو الآخر ضحية من ضحايا الدفاع عن السلام . وابنى وهو يحتضر ، لم يكن يجد فى ذهنه ، من كلمات ودعوات : الا السلام . . واصدقائى ، وزملائى ، ومواطنى الذين افقدناهم فى المظاهرات ، وفى حرب فلسطين ، وفى معركة القنال وفى العدوان الثلاثى كانت حياتهم عربونا للسلام .

عندما كنا فى القرية ، لم نكن نعرف السلام ، لان « الباشا » الذى استولى على أراضينا ، التى ملكها آباؤنا وأجدادنا ، والتى كانت جزءا منا ونحن جزء منها قد حرمنا منها ومن ثمارها ... وسيطر بالحديد والنار على كل ما ينتج منها .

هذا الباشا حول قريتنا الهادئة الوادعة الى ميدان حرب لا يعرفه السلام .. وعندما انتقلنا من القرية الى المدينة ، وتفتحت احاسيسنا ، واتسعت مداركنا ، لم نجد السلام لان البوليس ، وعساكر الاحتلال ، وزعماء الاقطاع ، والاحزاب ، والفساد ، كانوا يقفون لنا بالمرصاد .. وكانوا يحيلون مدارسنا وشوارعنا ، وجامعاتنا الى ميادين للمعارك .. يضربوننا بالكرباج .. يسجنوننا ، يعذبوننا ، يحولون بيننا وبين أن ننعم بالشباب وبالسلام .

ولهذا لم نجد السلام فى انفسنا .

ولم نجد السلام فى دارنا .

ولم نجد السلام فى قريتنا وفى مدينتنا ، وفى مدارسنا وفى جامعاتنا وفى مصانعنا وفى مزارعنا ....و ...

بل لم نجد السلام فى بلدنا .

وقضينا شطرا اكبر من حياتنا فى صراع من اجل السلام .. صراع ضد الاقطاع ، صراع ضد الفساد ، صراع ضد الاحتكار ،

صراع ضد الرجعية ، صراع ضد الاستعمار .. وانتصرنا .

وبدأنا ننعم لاول مرة بالاستقرار فى انفسنا وفى دارنا .. وفى قريتنا وفى مدينتنا وفى مدرستنا ، وفى جامعاتنا ، وفى مصانعنا ، وفى مزارعنا وفى بلدنا ..

وكان لا بد للاستعمار من أن يقضى على هذا السلام ، لانه لا يحب السلام ، ولا يحب للناس ان تعيش فى سلام ، ولانه لايستفيد من وجود السلام .. وبدأ يدبر ضدنا المناورات والمؤامرات ، وبدأ يحاربنا بالجيوش والطائرات ، وانتصرنا فى هذه المعركة ، انتصرنا عليه انتصارا ساحقا ، لاننا كنا ننعم فيما بيننا وبين انفسنا وفيما بيننا وبين مواطنينا بالمحبة والسلام .

وبدأنا نفكر فى السلام خارج حدودنا ..

وكان الاستعمار لطول احتلاله لنا وسيطرته علينا، ولكثرة أذلاله واحتقاره لشأننا قد زور كل شىء .. وكما كان يحدث لنا ونحن صغار عندما كانوا يقولون لنا لا تلعبوا بالنار لئلا تخيفكم الاحلام المزعجة ، ولا تمشوا فى الظلام ، لئلا تزعجكم العفاريت . كان يحدث لنا كدولة مثل ماكان يحدث لنا ونحن أطفال، كانوا يقولون لنا : لاتتصلوا بهذا الشعب أو ذاك .. لانه بعبع لانه عفريت ، لانه شيطان ، لانه ابليس ، لانه لا يقدس الاسرة ، لانه لا يعترف بالانسانية .. لانه من النيام نيام .. يأكل البشر ويعيش على الدماء .

وبدأنا نتصل ونتعارف ..

وبدأنا نرى الشعوب على حقيقتها لا كما صورها لنا الغير .

وبدأنا نفكر فى المستقبل بعقولنا نحن لا بعقول الغير .

ووجدنا غير ما حفظنا .

ولقينا ، غير ما قرأنا ..

وكانت مفاجأة كبرى لنا ..

ولست انسى ماحييت ، عندما زرت احدى القرى النائية ونزلت فى الحقل أزور الفلاحين وهم يقومون بجنى البطاطس لقد اندفع الى أكثر من واحد واكثر من واحدة ، يقبلوننى بشوق وحرارة ، والتراب يملأ ملابسهم ، ويملأ أيديهم ، ويملأ وجوههم ، لم يعرفوا هل كنت انجليزيا ام كنت عربيا ، ولم يعرفوا وقتها هل كنت شيوعيا ام كنت رأسماليا .

والخادم الذى كان يتولى خدمتى فى فندق اتينيوس ببوخارست ولم يكن يعرف الا الرومانية .. كان يحاول كثيرا أن يتحدث الى ليعبر لى عن سروره ، واذا ما وجد صورة للرئيس عبد الناصر فى احدى الصحف ، حملها الى وراح يرينى اياها قائلا فى بهجة وسرور : «ناصر .. ناصر» وكان دائما وأبدا يقول ؛ وهو يحاول أن يعرفنى أسرار السياسة : لا حرب : لا حرب .. ولعلها الكلمة الوحيدة التى يعرفها من اللغة الانجليزية ... وفى المصنع وفى الفندق وفى القطار ، وفى الحدائق وفى كل مكان كنت أجد حمامة السلام ترفرف على كل آلة ، وكل كرسى ، وكل مكتب ، بل كنت أجدها تحكم رومانيا كلها .

يدخل الالمانى الفندق فيجد كل ترحيب وكل اعزاز ، من كل فرد من أفراد الشعب الرومانى الذى ذاق الامرين من النازية الالمانية والجاسوسية الالمانية ، والدكتاتورية الالمانية ..

ويدخل الامريكى فلا يجد الا المحبة والمودة ولا ينظر الناس اليه الا على أنه أمريكى من ضحايا دالاس وايزنهاور والاحتكارية . الامريكية ..

وقد قلت ذات مرة لاحدهم : لماذا تحبون السلام بمثل هذه الدرجة ولماذا تعملون من أجل السلام بمثل هذه القوة .. وقال

محدثى : لقد جربنا القتال .. جربنا الحقد والحسد والكراهية ، جربنا الاقطاع ، جربنا الفساد جربنا الاشتباك مع الجيران ، جربنا تضارع الطبقات ، جربنا كل مايدفعنا الى الخصام ، ولم نستفد ولم نفد ، ووجدنا أن أسلم الطرق هو أن نحب السلام .. وأسلم الطرق هو أن نعمل من أجل السلام .. هذه الصناعة التى تراها تعمل من أجل الحرب انما هى تعمل من أجل السلام .. وهذه المزارع التعاونية التى يقوم العمل فيها ليل نهار لا تعمل من أجل الحرب وانما تعمل من أجل السلام .

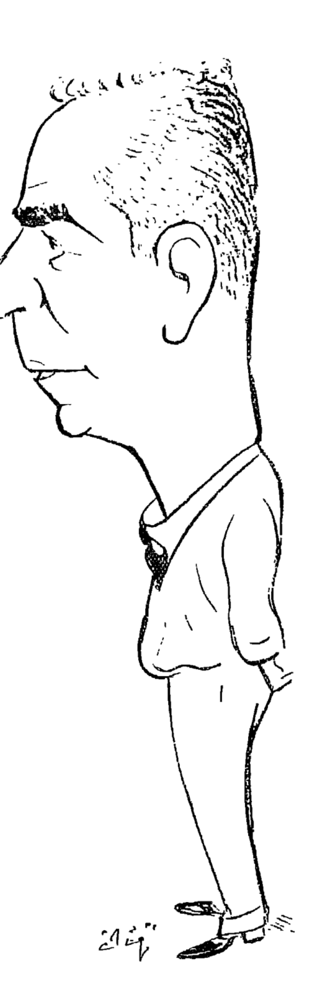
وليس معنى حبنا للسلام اننا نغفل العمل من أجل حماية السلام .. اننا لن نغفل تسليح أنفسنا لن نغفل حراسة استقلالنا . لن ننسى أبدا أن العدو يريد بنا الشر ويعمل لكى يقضى علينا . . ولهذا فالعمل من أجل السلام شىء .. والعمل من أجل حماية السلام نفس الشىء .

« وبعـــد »

لم تبق الا سطور قلائل ، أختتم بها هذا الكتاب .

من القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة . الى الاصدقاء فى رومانيا .. انكم تعملون من أجل السلام .. ونحن نعمل من أجل السلام وكل الشعوب تعمل من أجل السلام .. انكم تعملون من أجل حماية السلام .. ونحن وكل شعوب العالم نعمل من أجل حماية السلام .. وانكم واننا وجميع شعوب العالم لقادرون على تحقيق السلام وعلى حماية السلام .. والمستقبل لنا جميعا .

المستقبل الذى نصنعه لأنفسنا !!..



لقد آمن الوطني الاديب ، والصحفي المجاهد الاستاذ صبري ابو المجد بعقيدة الجلاء منذ صباه ، واعتنقها وانضوى تحت لوائها ، وجاهد في سبيلها بقلمه ، ولسانه وقلبه ، وشعوره ووجدانه واذ كان من شباب الحزب الوطني العاملين ، وشباب الوطنية المجاهدين فانه حمل بين جنبيه رسالة الجلاء يبشر بها ويدعو اليها ويذود عنها ، ويدرأ من حولها شبهات التشكيك وحملات التهوين والتضليل وهو باخراجه كتاب الجلاء قد اهدى الى امتنا صفحات مشرقة من تاريخ الوطنية والسياسة الواقعية واوعى السليم :

يوليو ١٩٥٤

عبد الرحمن الرافعى

حين ضج الناس ضجيجهم حول الحياد وانقسمت الاراء وبرزت في عالم الشرق العربى احزاب بل حكومات تجنح الى الحياد ، كان زميلى صبرى ابو المجد اسرع من رد الطرف فأصدر كتابه الجامع عن الحياد ولن اتهم بالمبالغة اذا ما قلت ان هذا الكتاب كان ذا فضل — على الاقل — في التمهيد لهذه الخطوة او هذه السياسة التى ظهرت آثارها فيما بعد .

مارس سنة ١٩٥٥

فكرى اباظة

نظرة واحدة يلقيها القارىء على عناوين كتب الزميل صبرى ابو المجد تكفى ليتعرف عليه في الحال : المعركة مستمرة ، نحو اشتراكية عربية ، الجلاء ، الحياد ، مصرى في الصين الشعبية . الاستعمار احلاف ودولارات. كلها كتب تجعلنا نعرف في المؤلف كاتبا وطنيا واعيا ووطنية صبرى ابو المجد ليست وطنية ضيقة الافق ، مغلقة الحدود . . بل انها تمتد الى المناضلين في جميع انحاء العالم . . وكتابه من باندونج الى اكرا : حجر اساس في البناء القوى الذى تبنيه شعوب آسيا وافريقية . . بناء التفاهم والتعاون المشترك .

اكتوبر سنة ١٩٥٨

يوسف السباعى



مَطابع جَريدة الصَباح بالقاهرة
٤ شارع محمد سَعيد، الداخلية سابقاً
تليفون ٣٠٠٨٦ - ٢٥٤٣٤

٨ قروش